فلسفة التأريخ



الأستاذ الدكتور
قيس حاتم هاني الجنابي
استاذ تاريخ الشرق الادنى القديم
جامعة بابل

دار المنهجية
الدار المنهجية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

فلسفة التاريخ

فلسفة التأريخ

الأستاذ الدكتور
قيس حاتم هاني الجنابي
أستاذ تأريخ الشرق الأدنى القديم
جامعة بابل

الطبعة الأولى
2016م - 1437هـ

الدار المنهجية
للنشر والتوزيع

الدار المنهجية
للنشر والتوزيع

رقم التصنيف: 901
فلسفة التأريخ
أ. د. قيس حاتم هاني الجنابي
الواصفات: التاريخ// الفلسفة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/11/5168)

ردمك ISBN 978-9957-593-59-9

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
هاتف 4611169 6 962+ ص ب 922762 عمان - 11192 الأردن
DAR ALMANHAJIAH Publishing - Distributing
Tel: + 962 6 4611169 P.O.Box: 922762 Amman 11192- Jordan
E-mail: info@almanhajiah.com

الإهداء

إليك...

أنت أنت... أيا من عانقت العلا...

تأبى إلا أن تكون محور العالم...

لو اجتمعت عليك كل شياطين الإنس ...

ما استطاعوا يوماً كسر جناحك...

هكذا انت محلقاً في عيون أهليك ومحبيك...

هكذا انت تسموا في ارتقاءٍ أبدي...

لا تعرف كللاً ولا ملل...

عريق عراقة شعبك...

سلام على رافديك...

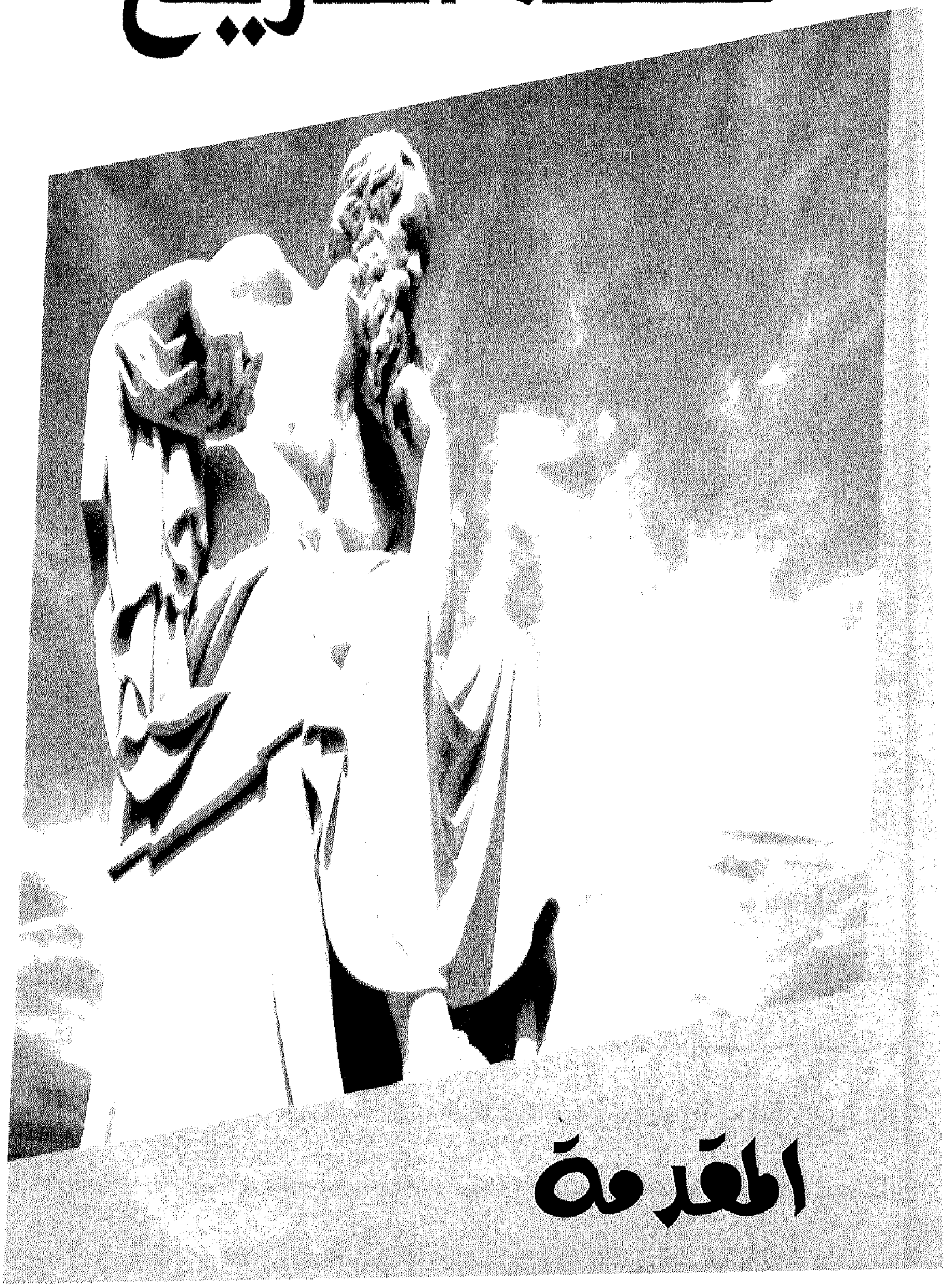
بلاد القلم..

إليك أنت .. عراق العز ..

فسلامٌ لأرضٍ تفيضُ عطاء وعطرٌ ثراها دمُ الشهداء..

الفهرس

فلسة التاريخ



المقدمة

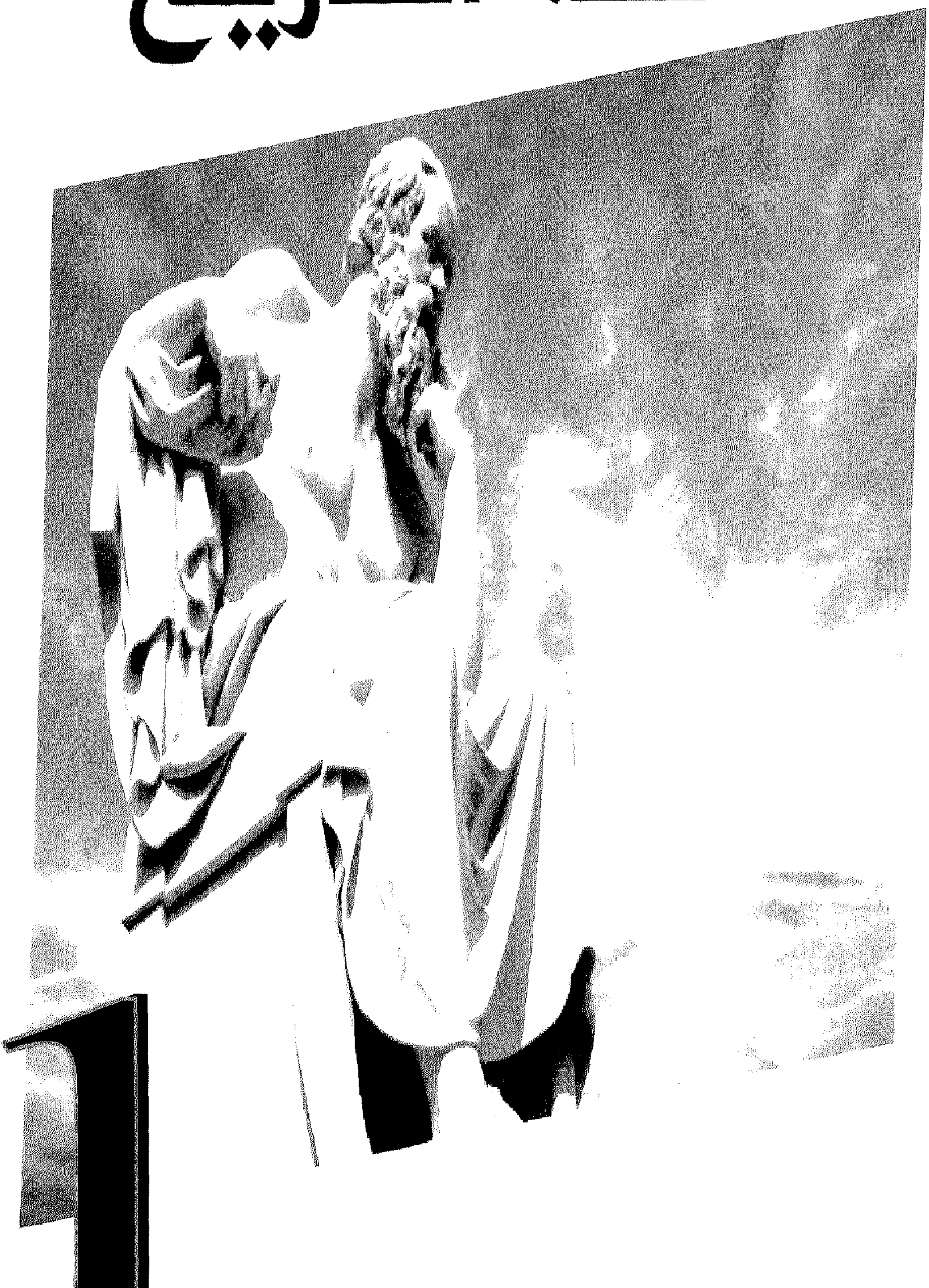
المقدمة

لقد سبّرت الفلسفة غور الفكر الإنساني وأثرّت في تفسير الظواهر الإنسانية، لذا نجد أن الفلسفة تدخل كعنصر فاعل في جميع العلوم سواء أكانت علوم إنسانية أم علوم تطبيقية، وقد انتبه المفكرون إلى أهمية الفلسفة منذ زمن بعيد لاسيما في بدايات التحضر الأولى، ومن يقرأ التاريخ يدرك أن العلماء في الماضي كانوا فلاسفة ومؤرخين في آن واحد وعلى رأسهم أرسطو طاليس فهو أول الفلاسفة الذين بنوا نظرياتهم على أساس معرفة التاريخ، فبدأ الانسان يحاول تفسير ما يحيط به من ظواهر يقف أمامها عاجزاً، كما يسعى إلى أن يجد سببية للأحداث المحيطة به، ومنها انطلق في تفسير حركة الإنسان ودوافعها، ولما كان التأريخ نتيجة حتمية لحركة الإنسان، كان لابد من محاولة تفسير التأريخ وتحليله، لما له من أهمية في استنطاق مستقبل الإنسان من خلال تفسير حركته في ماضيه، فوضع لتحقيق هذا الهدف النظريات الفلسفية الحديثة التي تعنى بتفسير التأريخ وحركته.

ومما يؤكد حاجة المؤرخ إلى معرفة الفلسفة، جاءت الحاجة الى هذا الكتاب الذي يسلط الضوء على أهمية علم التأريخ وفلسفته بأسلوب واضحٍ ومبسطٍ ومتسلسلِ الأفكارِ، وبما يتوافق مع المقررات الدراسية المهتمة بفلسفة التأريخ، آملين أن يكون هذا النتاج مرجعاً مكملاً وافياً للمعنيين بفلسفة التأريخ، لاسيما طلبة الدراسات الأولية والعليا والباحثين والمهتمين بالتأريخ، إذ يعين هذا المؤلف على التعرف وبأسلوب مبسط على معنى التأريخ وفلسفة

التأريخ والفرق بين المصطلحين، فضلاً عن بيان النظريات الفلسفية للتأريخ، ويستعرض وبإيجاز وافٍ التفسير الخرافي والتفسير الأسطوري للتأريخ، ويبين ماهية التفسير الديني للتأريخ، ويوضح للقارئ الكثير من المصطلحات التي ترتبط بعلم التأريخ، ولأهمية الإسرائيليات وخطورتها في التاريخ العربي والإسلامي ارتأينا أن نفرد مبحث خاص يهتم بالإسرائيليات، كما أنه يعطي فكرة موجزة وواضحة عن العلوم والمهارات المساعدة لعلم التأريخ، من أجل وضع مناهج ثابتة مستفيدة من عبر التاريخ لإنارة طريق الحاضر والمستقبل.

فلسة التاريخ



1

فلسفة التاريخ

الفلسفة لغة واصطلاحاً

(Philosophy of Language and Idiomatically)

كلمة فلسفة يونانية الأصل وتتألف من مقطعين : (فيلا) وتعني (حب أو محب أو صديق)، و(سوفيا) وتعني (الحكمة)، وهي بذلك تعني (حب الحكمة)، وهي تقابل مصطلح (التفسير العقلي)، وعد اليونان أول من تكلم بالفلسفة وألف فيها، وأن الفلسفة التأملية فيما وراء الطبيعة (ميتافيزيقيا) كانت سمة الحضارة الإغريقية.

وأطلق اليونان كلمة (سوفوس) أي (الحكيم) على كل بارع في فن من الفنون، ثم استعاض فيثاغورس (572-497ق.م) عن لفظة (سوفوس) بمصطلح (فيلاسوف) أي (محب الحكمة)، لأنه يرى أن الحكيم هو الإله وحده وإنما الإنسان فيلسوف (محب للحكمة) فحسب.

وفي العربية تعني الحكمة والعلم والتفقه والحصافة والإصابة في القول والعمل والقول المأثور والكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه، كما قالوا أن الفلسفة هي (حكمة التشريع) المفيدة والمنفعة المناسبة، والحكمة أو الحكيم عند العرب تعني المعرفة أو الإلمام بكل صنوف المعرفة كالفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والفلك.

ويرى بعض المفكرين المسلمين أن أثر الفلسفة اليونانية في حياة المسلمين كانت عميقة، إذ أنها شعبتهم بدخولها فرقاً تكفر كل طائفة أختها، وتحول النزاع والجدال إلى المشاجرة والقتال.

إذاً الفلسفة علم عقلي يكمل القوى العقلية النظرية والعملية، والعناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة هي: (التراب والنار والماء والهواء).

أما الفلسفة اصطلاحاً فيختلف معناها باختلاف العصور والاختصاصات، فأفلاطون (427-347ق.م) الذي يعد من الفلاسفة والمصلحين، كان يعتبر التحليل الرياضي طريقة فعالة للتوصل عبر فصل الأفكار إلى معرفة الكون، ويعرف الفلسفة بالتفكير بجميع الأشياء في جميع الأزمان، أما أرسطو (384-322ق.م) الذي درس في أثينا على يد أفلاطون مدّة عشرين عاماً، واهتم بالأخلاق والمنطق وكان مولعاً بالمعرفة وكان يميل للملموس والممكن، وهو أول من قام بتشريح الحيوانات، وكشف بذلك بعض الاختلافات في التكوين الداخلي، فقد عَرَّف الفلسفة بالعلم الذي يبحث في العلل الأولى ومبادئ الموجودات، أما التعريف العربي لمصطلح الفلسفة فقد جاء ذكره عند الفارابي بقوله: أن الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة أو أنها إيثار الحكمة، فيما يرى ابن سينا أن الفلسفة تعني معرفة الوجود كله بالعقل كله واستعمال النفس الإنسانية للمعرفة واستحصال الإنسان للفضائل، أما ابن رشد فيرى أن الفلسفة هي النظر أو العلم بالموجودات من جهة دلالاتها على الصانع.

ويمكن القول أن الفلسفة هي البحث والتفكير في الموجودات ومن ضمنها النفس الإنسانية فيما إذا كانت خالدة أم فانية والسلوك الإنساني، وفي أصل الكون عبر الزمن، وهي بذلك تدعو إلى استخدام العقل والتفكير والبحث عن حقائق الأشياء.

ومما تقدم يبدو جلياً أن التفكير في الموجودات لم يبدأ في اليونان كما يظن، بل أنها بدأت مع نشأت الحضارات في الشرق الأدنى لاسيما في بلاد ما بين النهرين وفي شرق آسيا، لاسيما التفكير الديني وظهور أشكال العبادات المتنوعة في هذه المناطق، وعموماً كانت علومهم عملية صرفة لتسهيل حياة الناس والتفكير والإبداع في كل ما له علاقة بخدمة الإنسان، ثم جاء اليونانيون ووضعوا للفلسفة قواعد وأصول وتبحروا في العلوم النظرية التي كان هدفها المعرفة للمعرفة، وقد شملت الفلسفة اليونانية جميع العلوم والمعارف، والفلسفة عند المسلمين نحت نفس المنحى اليوناني.

ومع أن الفلسفة استقلت عن باقي العلوم في العصور الحديثة، وأصبحت علم قائم بذاته، إلا أنها (الفلسفة) بمعناها الأوسع الذي يعني التفكير في الأشياء كما أسلفنا تدخل ضمناً في كل علم من العلوم، ومنها علم التأريخ.

التأريخ لغةً واصطلاحاً (History, Language and Idiomatically)

اختلف اللغويون في أصل كلمة التأريخ هل هي عربية أو معربة، فمنهم من قال إنها عربية كالأصمعي، والبعض قالوا: إنها فارسية مأخوذة من (ماه روز)، أو إنها سريانية ومعناها الشهر، وقد اكتفت المعاجم العربية بالقول أن

لفظة التأريخ مرادفة للفظة (تَوريخ) وهي مشتقة من كلمة (أَرَّخَ) و(وَرَّخَ)، وهي تعني تعريف الوقت، وقال (الصولى) أن تأريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ومنه، وقيل فلان تاريخ قومه أي إليه ينتهي شرفهم ورياستهم، وتجدر الإشارة إلى أن كلمتي (أَرَّخَ) و(وَرَّخَ) ذات أصول جزيرية أكدية وفينيقية تعنيان (الشهر) و(التوقيت).

ومع أن لفظة (التأريخ) لم ترد في القرآن الكريم، إلا أن مصطلحات وعبارات وردت تشير إلى معنى التأريخ، ومنها (أساطير وقصص وأنباء والقرون الأولى والصحف الأولى)، وهو نفس المعنى الذي تعنيه كلمة التأريخ في اللغات الأخرى في بداياته الأولى والتي كانت على شكل قصة تحمل أخبار الأجداد ومآثرهم.

وعرف مصطلح التأريخ بتعاريف مختلفة لعلها تجتمع في التعريف القائل أن التأريخ هو قصة الإنسان ونشاطه السالف بكل أبعاده ومغازيه، وهو بذلك يستوعب فلسفة الطبيعة وفلسفة العلم وفلسفة المجتمع الإنساني بكل أبعاده لاسيما علاقة الأفراد فيما بينهم أو بمجتمعاتهم.

ويشير المؤرخ الكلاسيكي الشهير (هيرودوت) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد إلى أن التأريخ يشتمل على التحقيق في الحوادث الماضية، ويرى أن هذا التحقيق لا يتم من الناحية التأريخية إلا إذا قام به المؤرخ بنفسه وسافر إلى الأماكن التي يريد دراستها من الناحية التأريخية، لذا نرى أن هذا المؤرخ قام بالسفر والترحال الطويل إلى مواقع الحوادث التأريخية ليتحقق بنفسه

مما وصله من أخبار تمهيداً لتدوينها بأسلوبه الخاص، وبثقة المؤرخ الواثق من صحة الخبر الذي يسوقه أو ما هو أقرب للصحة، وقد سار الكتاب اليونان والرومان ومن لحقهم من الكتاب الأوربيين على خطى هيرودوت، لذا أطلق على هيرودوت تسمية (أبو التأريخ).

والتأريخ اصطلاحاً عند ابن خلدون في مقدمته: "التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبارٍ عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة، عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق"[(1)]، وعرّفه المقريزي اصطلاحاً: "الإخبار عمّا حدث في العالم في الزمان الماضي"[(2)]، كما عرّف التأريخ على أنه تفسير للحوادث والاهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في

(1) عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، 1965، ص ص362-363.

(2) تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار، مطبعة بولاق، القاهرة، 1951، ص ص2-8.

الزمان والمكان، أو أنه (التأريخ) علم نظري إنساني يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت والتفسير والتعليل.

هل التأريخ علم؟ (Does History, Science?)

لكل علم منهجه وأدواته التي يتمكن من خلالها الوصول إلى غاياته، وغاية علم التأريخ هو الوصول إلى الحقيقة وتحليلها واستنباط العبر والحكمة منها، ولعلم التأريخ أيضاً منهجه وأدواته التي تمكنه من الوصول إلى هذه الغاية.

إنّ دراسة التاريخ في منهجه وغايته تعتمد على الاستقراء والتمثيل والقياس المنطقي كالعلوم الأخرى، وذلك لوحدة الجامع في العلوم، فالاستقراء هو تتبع الجزئيات والأمور المتشابهة، ليستفيد منها الكلّي العام، فمثلاً: حينما نرى قطعة حديد إذا رميت في حوض ماء تغطس نستقرأ أن كل حديد يغطس في الماء، ولكن نرى أنه بالتدبر يمكن أن يطفو على سطح الماء بل ويحمل الأثقال كما في السفن مثلاً، وكما أن الاستقراء لا يعمم دائماً في العلوم المختلفة نراه كذلك في علم التأريخ، إذاً الاستقراء يتطلب توافر الإمكانات المنطقية والابتعاد عن التعميم، والمقدرة على تحديد اتجاه الاستقراء.

وفضلاً عن أنّ كثيراً من العلوم تستفيد من التمثيل وتستفيد من القياس المنطقي، حيث تشكّل الصغرى والكبرى، وتكون النتيجة قطعية إذا كانت كلّ من الكبرى والصغرى قطعية، فمثلاً نقول أن زيد إنسان وكل إنسان يموت، إذاً زيد يموت أيضاً، حيث أنّ الأصغر يدخل تحت الأكبر، وعلم

التاريخ يقوم على أساس منهجي يعتمد على جمع أكبر عدد ممكن من الوقائع التاريخية بهدف الوصول إلى أحكام كلّية على طبق ما ذكر في العلوم الطبيعية على نحو القياس أو على نحو الاستقراء أو على نحو التمثيل، فضلاً عن أنّ فلسفة التاريخ أيضاً تشابه العلوم الطبيعية والإنسانية من جهة غاية العلم، فكما أن العلوم الطبيعية تبحث في سبل تسخير الطبيعية لصالح الإنسان، وفلسفة التأريخ تسعى هي الأخرى إلى الاستفادة من تجارب الماضي لتتجاوز مساوئها وإخفاقاتها وتبرز إيجابياتها وتدعمها بما فيه الصالح للإنسان.

وهكذا نجد أن علم التأريخ يقوم على وصف الوقائع الاجتماعية وتبيان الأزمان التي حدثت فيها تلك الوقائع مع ذكر العوامل التي أدت إلى وقوعها، وهنا علينا التفريق ما بين كتب التأريخ وكتب الأخبار، إذ أن كتب التأريخ هي التي تنطبق عليها معايير علم التأريخ، أما كتب الأخبار فهي التي حملت أخبار الماضين على علاتها دون تمحيص أو تحليل أو تقصي، مثل مؤلفات: ابن قتيبة (ت270هـ) والبلاذري (ت279هـ) واليعقوبي (ت284هـ) والطبري (ت310هـ) والمسعودي (ت346هـ)، ويطلق عليهم الإخباريون.

ويستعمل الكتاب الغربيون مصطلح (تأريخ) ليصفوا بها كل ما حدث في الكون من وقائع طبيعية حدثت دون تدخل الإنسان أو اجتماعية كان الإنسان سبباً في حدوثها أو هو محرك لها، وهكذا نرى أن الرؤيا الغربية للتأريخ أوسع وأعمق وتمتد إلى عمر الكون، أي أن استحالة إلمام الإنسان بكل ما جرى في الماضي، كما أن ذلك يعني أن ما يعرفه من وقائع تأريخية ما

هـو إلا نـزر بسـيط ممـا حـدث بالفعـل، وكلمـا غصنـا في أعمـاق التـأريخ قلـة مصـادر معلوماتنـا عمـا حـدث بالفعـل، وهنـا يـدخل الخيـال في بنـاء الصـور أو إكمـال الصـورة التأريخيـة بالاسـتناد أو بمعونـة العلـوم الأخـرى السـاندة لعلـم التأريخ.

فنحن نقـول أن لـلأرض وتكوينهـا تـأريخ يمتـد لكـذا مليـون سـنة، هـذا التقـدير الـزمني لعمـر الأرض أو ظهـور الإنسـان وتطـوره البيولـوجي أو عمـر أشـكال سـطح الأرض ومـدة تكـوين الأنهـار أو حركـة البحـار واليابسـة أو انقـراض حيوانـات وظهـور وتطـور حيوانـات أخـرى أو عمـر الطبقـات الآثاريـة أو عمر البقايا العضوية أو غيرها من المعلومات يعجز علم التأريخ عن الإحاطة بها من دون علم الجغرافيا وعلم الأحياء وعلم الفيزياء وعلم الكيمياء وعلم الفلك وعلـم الأرض وغيرهـا مـن العلـوم السـاندة لعلـم التـأريخ، وهكـذا نـرى أن علـم التأريخ أصبح مجاله أوسع مدىً ممـا كـان متعـارف عليـه أو ممـا يمكـن لـه أن يعرفه، كما أنه لم يعد قائماً على روايات إخبارية تنقـل علـى علاتهـا، بـل هـو علم قائم على الحقائق العلمية وعلى الأدلة وعلى التفسير العلمي المنطقي، كـل ذلك ما هو إلا محاولة الوصول إلى حقيقة مـا حصـل في الماضـي بعيداً كـان أم قريب.

وبنـاءً علـى التطـور الهائـل في العلـوم السـاندة لعلـم التـأريخ، وتدخلـها في تفسير أو إثبـات أو دحـض الحقـائق التأريخيـة، نـرى أن التـأريخ يتحـرك أو لنقـل يتغير، إذ أن الكثير ممـا كـان يسـلم بحقيقتـه التأريخيـة ضـعفت أسـانيدها أو

أدلتها التي أعطتها القوة أو المصداقية التأريخية، فظهرت لنا غير صحيحة أو مفهومة بشكل غير صحيح.

ويمكن أن نسوق مثالاً عن دور العلوم الساندة في تطور علم التأريخ، إذ ساد بين بعض العلماء في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي اعتقاد مفاده أن الإنسان يشترك مع القرد في أصل واحد، وأن الإنسان متطور عن نوع من أنواع القردة، وهؤلاء هم أصحاب نظرية (النشوء والارتقاء)، إلا أن البحوث العلمية الحديثة التي أجريت على بقايا هياكل عظمية لبشر عثر عليها في جنوب أفريقيا أثبتت أن عمر هذا البقايا 250.000 سنة، وكان هذا الإنسان يستعمل النار وبعض الأدوات الحجرية ونوعاً بدائياً من اللغة.

ودخل علم التأريخ كل مجالات العلوم الأخرى بحيث أصبح لكل علم تأريخ خاص به يتداخل أحياناً مع باقي العلوم الأخرى، فمثلاً أصبح لعلم الفلك تأريخ يدرس تأريخ تكوين الأجرام الفلكية، ولعلم الأرض تأريخ يهتم بدراسة تأريخ الطبقات الأرضية، ولعلم الطب تأريخ يدرس التطور التأريخي لعلم الطب، إلخ.

فلسفة التأريخ (Philosophy of History):

يقصد بفلسفة التاريخ هو محاولة تفسير التأريخ، وتهدف فلسفة التاريخ إلى تزويد الإنسان بأحكام تمكّنه من أن يفهم معنى الأحداث الحاضرة أو المستقبلية في ضوء خبرته بالماضي.

لما كان الإنسان والمجتمعات هم من صَنَعَ التأريخ، فهي (فلسفة التأريخ) بذلك تعني رأي الإنسان بما صنعه الإنسان والمجتمعات التي سبقته، ومحاولة معرفة العلل التي حركت التأريخ للوقوف أمام التحديات التي تواجهه، وهي بذلك تحاول استشعار الهدف من دراسة التأريخ المتمثل بالتعرف على تجربة السابقين.

عرف العلماء فلسفة التاريخ تعاريف عديدة، منشؤها اختلاف المناهج، منها: أن الفلسفة تمحيص للمناهج والمبادئ والأنظمة لعلم التاريخ، وأنها تاريخاً شاملاً ومكتوباً، وجَّهته أفكار فلسفية سابقة، وفي تعريف آخر لفلسفة التأريخ إنه وقائع متتابعة على عكس العلوم التي تعتبر وقائع متكررة، وفلسفة التأريخ تبحث في تحديد الاتجاه العام لتطور الإنسانية، وإيجاد قانون لحركة الحياة البشرية في خطوط دائرية أو مستقيمة، وعرفه بعضهم على إنه معرفة الروابط التي تربط الأحداث والوقائع المتفرقة ودراستها لتبين دوافعها وارتباطاتها ونتائجها، واستخلاص السنن من خلالها والاعتبار بالدروس والعظات فيها، كما عرفت فلسفة التأريخ على أنها معرفة التحولات والتطورات التي تنقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، ومعرفة القوانين المتحكمة في هذه التطورات والتحولات.

وضعت لهذا الهدف العديد من النظريات التي تحاول أن تفسر حركة التأريخ والأسباب التي تقف وراء نشأت الحضارات المختلفة، الأمر الذي أتاح للإنسان وعي الكثير من المثل العليا، ومع أن الكثير من الأحداث التأريخية

التي مرت بالعالم تبدو متشابهة إلا أنها تتنوع بتنوع أسبابها، وهذه هي مدعاة محاولة الإنسان التفكير وتفسير مجريات هذه الأحداث وحل ألغازها.

وبدأت فلسفة التأريخ كعلم قائم بذاته وبمعناه الحديث مع بداية الثورة الصناعية في أوربا (أواخر القرن 16م وأوائل القرن 17م) على أيدي المفكرين الفلاسفة الذين عاصروا طلائع الثورة الصناعية، إذ أن الثورة الصناعية حركت التأريخ وطورت المجتمعات، وأبرزت تعقيدات مختلفة في المجتمع الإنساني، كما أنها بينت إمكانات عقل الإنسان في التطور السريع الذي شهده العالم في تلك الحقبة، فحركت عقل الإنسان وحفزته على التفكير في الأوهام والحقائق التي سادت العالم، فبدأ التفكير في معنى التأريخ ومغزاه وحوافزه ومحركاته، ثم تحددت معالمها في القرن الثامن عشر الذي شهد العديد من فلاسفة التاريخ، أمثال (فيكو ومونتسكيو وتورجو وفولتير وكوندورسيه وهرد، وغيرهم)، وبلغ الاهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن التاسع عشر، على يد أعلام هذا القرن أمثال هيجل وماركس، وترجع أهمية فلسفة التاريخ إلى حيوية موضوعها. إذاً يمكن إجمال فلسفة التأريخ بدراسة حركة المجتمعات البشرية وتطورها وأسباب انهيارها وسقوطها في مرحلة معينة من تاريخها، ومشكلة القوانين التي تحكم حركة التاريخ وتطوره بين المؤيدين والمعارضين لها.

الفرق بين علم التاريخ وفلسفته (The Difference Between The Science of History and Its Philosophy):

علم التأريخ يدرس الحالات الفردية كحادثة معينة أو شخصية معينة أو حتى حضارة ما، أما فلسفة التأريخ فتعنى بدراسة الروح العامة للتأريخ، أي أنّ موضوع التاريخ لمفرده علم مستقل ولمجموعه يدخل في نطاق الفلسفة، فالمؤرّخ إنّما يؤرّخ للذين دخلوا التاريخ ولعبوا دوراً فيه وحرّكوا مساره، سواء دخلوا التاريخ للإفساد كفرعون وهتلر وستالين، أو دخلوا التاريخ للإصلاح كما فعل الأنبياء والمصلحون، ولا فرق في ذلك بين الساسة والقادة والعلماء والفلاسفة والمفكّرين والشعراء والمخترعين وأصحاب الصناعات والحرف، أما فلسفة التأريخ فتبحث في تفسير هذه الظواهر والتمييز بينها وتضع النظريات والآراء في أسبابها وبواعثها، ومن موضوعات فلسفة التاريخ التي يجب على الباحث التاريخي أن يلاحظها هي النظر إلى تاريخ الأمّة بصورة إجمالية، والقول إنّ تاريخها تاريخٌ أخلاقي، أو تاريخ غير أخلاقي.

أهداف فلسفة التأريخ

(Objectives of The Philosophy of History)

إن فلسفة التاريخ تشبه العلوم الطبيعية والإنسانية من حيث أهداف العلم المتمثلة في تسخير العلوم الطبيعية لصالح الإنسان، وفلسفة التاريخ تهدف إلى تزويد الإنسان بأحكام تمكّنه من أن يفهم معنى الأحداث الحاضرة أو

المستقبلية في ضوء خبرته بالماضي، إذ أن فلسفة التاريخ منهج علمي يستفيد من منهج العلم ومن غاية العلم.

وتقع فلسفة التأريخ في ثلاث مجالات رئيسية:

المجال الأول: يمكن عدها مقالات في المنطق، أي أنها محاولات للاستيثاق مما يعتبر دليلاً صالحاً لاعتقاداتنا في القضايا الإنسانية.

المجال الثاني: تحوي فلسفة التأريخ على تعميمات ونظريات غايتها أن تفسر الدافع لسير التاريخ، وعلاقة حوادث التاريخ الواحدة بالأخرى.

المجال الثالث: فلسفة التاريخ محاولات لكي تضم بطريقة دقيقة القيم والمثل التي لها نوع من الصمود والحكمية بالنسبة إلى المسيرة الطويلة للقضايا الإنسانية.

وفلسفة التاريخ تبحث في القوانين العامة التي تحكم تطور المجتمعات الإنسانية، ومعنى هذا التطور وغايته، وبالمعني العام تبحث في الأسباب التي تكون الوقائع التاريخية، وموضوع فلسفة التاريخ هو البحث في المسائل الرئيسة التالية:

1. ما معني التاريخ؟
2. هل لأحداث التاريخ أسباب؟ وهل تحكمها قوانين؟
3. هل للتاريخ اتجاه؟ وما هو الاتجاه؟

وللإجابة على **السؤال الأول** علينا أن نفرق بين التأريخ أي تولي أحداث العالم على مر الزمان وبين علم التأريخ الذي يضيف تلك الأحداث ويرتبها على نحو معين، أما الصفة **(تأريخي)** فتدل على ما هو نسبياً ومشروط كما تدل على ما هو عيني وعلى ما هو شرعي أو مشروع في العبارة **حقوق تاريخية**، وتطلق هذه الصفة على النظريات والتجارب والأعمال والأحداث والمواقف ... الخ، ومهمة المؤرخ أن يفكر في تأريخ الإنسانية، وأن يتساءل عن معنى التأريخ، فالتأريخ يقوم على أفعال الناس ومساعيهم، ومسار التأريخ العالمي لم يكن خط مستقيم متصل من التقدم بل تخللته عصور مظلمة انتشرت فيها الخرافات وعمّ القهر والاستبداد والفساد، وصارت فيها الأخلاق أكثر وحشية وضراوة، لكن هذه فترات عابرة، أما بالنظرة الكلية لتاريخ الإنسان في مجموعه فأنه يشاهد تقدم مستمر من الوحشية إلى الحضارة ومن الظلام إلى التنوير، وفي الفترة التالية المباشرة لنزعة التنوير نجد تعميقاً وتعديلاً لفكرة التقدم العقلي وتحقيق العقل لنفسه هذه، فأصبح ينظر إلى تطور العقل على انه يجري وفقاً لمبادئ العلم والوعي بوجه عام.

أما الجواب على **السؤال الثاني** فيمكن القول أن فلسفة التأريخ هي البحث في التركيب المنطقي للمعرفة التاريخية التي تسجل في علم التاريخ، وقد بدأ الاهتمام بهذا اللون من البحث كرد فعل ضد النزعة التي كانت منتشرة في عصر التنوير التي أرادت أن تجعل التاريخ كسائر العلوم الطبيعية، بدعوى أن العلوم الطبيعية هي النموذج لكل معرفة بالمعنى الحقيقي، وفي نهاية

القرن التاسع عشر ظهر فلاسفة ينكرون هذه الدعوى إذ أدرك هؤلاء أن أهداف المؤرخ تختلف تماماً عن العالم الطبيعي، وميزوا بين موضوع العلم الطبيعي وموضوع التاريخ فقالوا إن الأول **موضوعه الطبيعة** والثاني **موضوعه العقل**، وقالوا أن كلمة (**علة التأريخ**) لها معنى يختلف تماماً عما يقصد بها في علوم الطبيعة، فلفهم العلة في حدوث واقعة في التاريخ لا يجوز أن ندرجها تحت قوانين علمية أو تعليمات تجريبية، بل علينا أن نوضح جانبها الباطن أي نكتشف عن الأفكار التي تبين أن ما حدث كان استجابة كائن عاقل ووجه بموقف يحتاج إلى حل عملي.

أما **السؤال الثالث** (هل للتأريخ اتجاه؟) فإجابته تتركز في طبيعة النظرة التي توجه له، **فالنظرة اللاهوتية** ترى إن التأريخ هو تأريخ خلاص الإنسان بدأً من خطيئة آدم حتى يوم الحساب الأخير، **ونظرة عصر التنوير** تقول بالتقدم المستمر للعقل الإنساني، **وفي القرن العشرين** نجد اتجاهاً مضاداً يصرف النظر عن البحث في **اتجاه التأريخ** إلى البحث في **تركيب التأريخ**، وأصبحت فلسفة التأريخ نظرية في الوجود التأريخي وفي الحوادث، وبهذا تحول الاهتمام إلى التركيب الأساسي للصور التاريخية وإلى أنماط المجرى التاريخي أو الظواهر الأولية، وبينما كانت فلسفة التاريخ الكلاسيكية تقتصر في نظرها على الشرق القديم (بلاد ما بين النهرين ومصر وإيران والهند والعصر اليوناني والروماني والحضارات الأوروبية)، نجد أنها في القرن العشرين اتسعت لتشمل حضارات أخرى وأماكن أخرى في العالم، أي أنه شمل تاريخ العالم كله،

وظهر لنا علم أطلق عليه اسم **(مورفولوجيا)** أي **(تاريخ العالم)**، كما ظهرت لنا دراسات المقارنة للحضارات التي قام بها أرنولد توينبي، وتشير هذه الدراسات إلى أن **ظاهرة الحضارة العليا** وجدت منذ بداية التاريخ حتى الآن، وأنه في جميع الأحوال ساد نفس قانون توالي الحضارة وأصبح ينظر إلى التاريخ العالمي على أنه مؤلف من وحدات أو حضارات أو دوائر حضارية، لكن البعض مثل اشبنجلر أنكر أن تكون بين هذه الوحدات وحدة، وقال إن كل حضارة مستقلة عن سائر الحضارات تمام الاستقلال.

ومما تقدم يبدو جلياً أن مهمة التأريخ لم تقتصر على تسجيل الأحداث التي تحدث فعلاً بكل تفاصيلها، ولا يشترط أن يكون الإنسان هو المحرك أو المسبب للحدث، فقد تكون للطبيعة دور في الحادثة التأريخية، فتسببها أو تحركها أو تتحكم فيها، وتجدر الإشارة إلى ضرورة توافر عناصر ثلاث كي يجعل من الحدث تأريخي، وهذه العناصر هي: **الزمن، والمكان (الجغرافية)، والإنسان أو (الحدث).**

النظريات الفلسفية للتأريخ

(Philosophical Theories of History)

برزت عدة نظريات حاولت أن تفسر أحداث ووقائع التأريخ، وهي:

1- **التفسير الجغرافي للتأريخ:** وهو الذي قال به المؤرخون الكلاسيكيون هيرودوت وافلاطون وأرسطو، وهؤلاء يرون أن العامل الجغرافي (تربة

ومناخ) يؤثر في الحدث التأريخي وفي حركة التأريخ، ويرون الصلة الوثيق والقديمة التي تربط بين الجغرافيا والتأريخ، إذ أنهما مترابطان ترابطاً وثيقاً، فهي تحدد الأماكن التي تقع عليها الأحداث وأحوالها وملابساتها، لأن المعرفة الجغرافية تساعد على تعيين الطرق التي يسلكها الإنسان وتحديد مناطق تجمعه وسكناه بل تؤثر في سير الحوادث وفي بعض الأحيان تغيير نتائجها.

2- **النظرة المادية أو الاقتصادية**: وقال بها الألماني (كارل ماركس) مؤسس الحركة الاشتراكية، ولد سنة 1818م من أبوين يهوديين، ومات في لندن سنة 1883م، أحد أهم منظري الاشتراكية والشيوعية، ألف الكتب التالية: (نقد الاقتصاد السياسي) وكتاب (نداء إلى الطبقات العاملة في أوربا) وكتاب (رأس المال)، وتنص نظريته على أن التاريخ يعيش في صراع وتبدل في قيمه وموازينه حسب تبدل وسائل الإنتاج وتطورها، وكان (ماركس) يقيِّم مذهبه على أربعة مبادئ:

أ - مجرى التاريخ تتحكم فيه القوى الاقتصادية.

ب - التاريخ ما هو إلا سجل لحرب الطبقات.

ج - الحكومة ما هي إلا أداة تستخدمها طبقة في اضطهاد طبقة أخرى.

د - العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أي تغيير أساسي في المجتمع.

3- **النظرية المثالية**: ودعا إليها الألماني (هيجل) الذي ولد في شتوتكارت في 1770م، وتنص نظريته على أن التاريخ يشرف على الأحداث من وجهة نظر كلية غير خاضعة للزمن، وهي وجهة نظر عقلية لأن العقل في نظره جوهر التاريخ، والعقل كما يراه هيجل هو الذي يحكم العالم.

4- **النظرية القومية والعرقية**: وتنص على أن الأحداث التاريخية وبواعثها تنشأ من اللغة والتجمع الواحد، فمثلاً ينظرون إلى التاريخ الإسلامي على أنه حلقة من حلقات تأريخ العرب، ولذا يفسرون أحداثه على أساس صراع قومي.

5- **النظرية الغريزية الجنسية**: وهي التي دعا إليها (فرويد)، وتنص على أن الدوافع الجنسية هي المفسرة للتاريخ.

6- **النظرية الحضارية** (التفسير الدوري): وقال بها فيكو واشبنكلر وأرنولد توينبي، وتنص هذه النظرية على أن نشوء الحضارات يسير وفق نظام خاص وعلى ترتيب معين لا تحيد عنه متبعة قواعد وقوانين خاصة تنتقل فيها الحضارات وتتقدم وتتكامل.

التفسير الخرافي والأسطوري للتأريخ

(Interpretation of The Legendary History)

كثيراً ما يخلط بين مفهوم (الخرافة) ومفهوم (الأسطورة) على الرغم من وجود اختلافات شاسعة بينهما، وذكرت المصادر اللغوية أن الخرافة بمعنى (الحديث الباطل مطلقاً) أو أن الخرافة (حديث مستملح ولكنه كذب)، وهي مشتقة من خرف خرفاً أي فسد عقله، لذا أعتقد بعضهم بأن نشأة الخرافة ناتج من سيادة الأهواء والانفعالات على العقل، ومع هذا تعددت الآراء والتفسيرات في تحديد مضمون الخرافة وعلاقتها بالفعل التاريخي فقد رأى بعضهم أن الخرافة حكاية بطولية مليئة بالمبالغات والخوارق إلا أن أبطالها الرئيسين هم من البشر أو الجن ولا دور للآلهة فيها، وقد ورد في المصادر العربية أن "خرافة كان من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهراً ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة"، وبهذا غدت الخرافات مصدراً هاماً للتفكير وقد تمثل ذلك في رد الناس ما يتعذر إدراكه أو فهمه عليهم إلى فعل القوى أخرى ليس لها وجود في الواقع وتكوين إجابات جاهزة لكثير من الظواهر.

أما الأساطير فهي جمع أسطورة، والأسطورة لغةً: مشتقة من الجذر الثلاثي للفعل (سطّر)، وتعني الأباطيل، أي أحاديث لا نظام ولا أصل لها، أي أنها تأليف موضوع، ووردت هذا اللفظة في القرآن الكريم للدلالة على أحاديث

وأكاذيب الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[1].

والأساطير حكايات مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصحة وصدق أحداثها، وتعد تراث الإنسان في كل مكان وزمان، ومنبع الإلهام الأدبي، وكانت دواعي ظهور الأسطورة في التراث الإنساني هو محاولة فهم المجهولات الكثيرة التي تحيط به، ولوضع قاعدة معرفية يفسر من خلالها وجوده، فمثلاً يحاول أن يفسر خلق الكون والإنسان فيقول مرة أن الكون جاء من بيضة كونية أو أنه ولد من جوف نعامة بعد أن قتلها الإله مردوخ، أما الإنسان فقد ولد من دموع الآلهة، والأمراض وُجِدت نتيجة تلاعب الأرواح الشريرة بالبشر أو لعقاب البشر على أعمالهم السيئة.

وقد نالت الأسطورة اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين وقاموا بدراستها دراسة جادة وواعية بغية الوقوف عند المفاصل الأساسية لبنائها الداخلي، وفي القرن التاسع عشر ظهر علم جديد عُني بدراسة الأساطير وتفسيرها عُرِف بـ(الميثولوجيا)، وهذا المصطلح يتألف من مقطعين، الأول (Mutho) وهو ذو أصول يونانية ويعني (حكاية تقليدية عن الآلهة الأبطال)، والثاني (Logy) ويعني (العلم)، وهكذا نجد أن الميثولوجيا تعني (العلم الذي يعنى بمجموعة الأساطير الخاصة بشعب من الشعوب)، وتقوم الأسطورة على مكونين

---

(1) سورة الفرقان، آية (5).

أساسيين يبنيان الأسطورة، المكون الأول هو القصة، وتشمل منطق الأفعال كما تشتمل على تركيب الشخصيات، والمكون الثاني هو الخطاب الذي يشمل الأزمنة ومظاهر السرد وصيغه.

نظريات نشأة الأساطير (Theories Genesis The Legends)

ظهرت عدة نظريات تحاول تفسير أسباب نشأة الأساطير، ويمكن إجمالها بأربع نظريات هي:

1 - **النظرية الدينية:** ترى أن جميع الأساطير تعود في أصولها الأولى إلى الكتب السماوية المنزلة، أما الوقائع الصحيحة فقد تبدلت واختفت معالمها.

2 - **النظرية التاريخية:** تؤكد على أن الآلهة وأبطال الأساطير ما هم إلا كائنات بشرية حقيقية، ومع تعاقب الأجيال أضيفت إليها الكثير من الزيادات حتى ارتقى هؤلاء الأبطال إلى مصاف الآلهة.

3 - **النظرية المجازية – الرمزية:** ترى أن الأسطورة ما هي إلا رموز ومجازات ذات مغزى أدبي أو هدف ديني أو معنى فلسفي، أو حقائق تاريخية تحولت مع مرور الزمن إلى مادة أدبية خالصة.

4 - **النظرية الطبيعية:** تؤكد على أن العناصر الأربعة (التراب والماء والهواء والنار) هي أصل العبادات الأولى، وأن الآلهة الرئيسة لم تكن إلا رموزاً للظواهر الطبيعية.

مميزات الأساطير (Features Legends):

تتميَّز الأساطير عبر التاريخ بشمولية وجدية الموضوعات التي تناولتها، كالتكوين والأصول والموت والحياة الآخرة ومعنى الحياة والوجود وما إلى ذلك من موضوعات التقطتها الفلسفة فيما بعد، والأسطورة كما يمكننا تمييزها من حيث بنائها الفني، من حيث كونه بناء دراميًا يلجأ إلى الرمز والخيال، ومن حيث انفتاحها على الغيبي والميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة) وعوالم الآلهة وأنصاف الآلهة الذين يلعبون أدوارًا رئيسية في الأساطير، وهي أول محاولة في تاريخ الفكر الإنساني لوضع مفاهيم فلسفية تهدف إلى إنقاذ الإنسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها، لذا نرى أن الأسطورة عبارة عن تاريخ واقع مقدس اعتقدت به الجماعات البدائية وفيها تفسير لنشأة الكون أو تعليل الظواهر الكونية أو الطبيعية، وتاريخ الآلهة وأنصاف الآلهة والملوك والأمراء، ويمكننا تمييزها من حيث طبيعة الحدث أو الأحداث الـ(لا تأريخية) التي تشتمل عليها، وطبيعة رسالتها الـ(لا زمنية)، كما يمكننا تمييزها بكونها ترتبط أساساً بالمعتقدات أو تعمل على توضيح معتقدات تشكل الأسطورة طقسًا من طقوسها، وهي على أية حال خصائص ومميزات يمكننا بها أن نميِّز الأسطوري ونعزله عن الخرافي والتأريخي، ومن ثم يخلص لنا وجه الأسطورة بمعزل عن غيرها.

في الوقت الذي ينظر التأريخ إلى موضوعه باعتباره تجلٍ للإرادة الإنسانية في جدليتها مع الطبيعة، نجد أن الأسطورة تنظر إلى التاريخ باعتباره تجلٍ

للمشيئة الإلهية، ويمكن أن نلاحظ ذلك في (أسطورة الإينوما إيليش) التي تعطينا أبلغ وصف عن حالة كون وكيف أن الآلهة الرئيسة الكبيرة خلقت آلهة جديدة، والآلهة الجديدة خلقت السماء والأرض وبنت المدن، وفي (أسطورة أتراحاسيس) نجد أن الآلهة التي خلقت الإنسان ليحمل عبء العمل عنها فكان نصيبه الكد والمشقة، وفي (أسطورة آدابا) و(أسطورة إيتانا والنسر) نجد الآلهة تقيم المؤسسات الاجتماعية كالكهنوت والملكية الوراثية، أما (أسطورة إنكي وننخرساك) فتشير إلى أن المرض فقد حل في جسم الإنسان بسبب خطيئة ارتكبها الإله إنكي، وتجعل (أسطورة آدابا) الموت نصيباً لكل إنسان بسبب خطيئة ارتكبها الإنسان الأول، وهذا ما تشير إليه أيضاً أسطورة الخلق التوراتية، وتؤكد المعتقدات المسيحية والإسلامية على أن الشر موجود في العالم بسبب تمرد ملاك في السماء وتحوله إلى شيطان، وهكذا، ومما تقدم نخلص إلى أننا أمام نوعين من التاريخ: تاريخ مقدس وتاريخ دنيوي.

والأسطورة في التأريخ ترتبط بأشخاص وحوادث واقعية، إذ يرى الباحثون أن الأسطورة حادثة حقيقية فسرت تفسيراً خاطئاً، ويرجع ذلك بنظرهم إلى الكهان والقصاصين والشعراء الذين تناولوا أولئك الأشخاص بالخيال والمبالغة والتقديس حتى أخرجوها من نطاق التاريخ إلى جو الأسطورة، كما أن الأساطير مع كل ما فيها من المبالغات والحوادث المصنوعة بمرور الزمن تصبح جزءً من تراث الأمم فيتناولها الكهان والقصاصون والشعراء بالتبسيط والتأنق والاستعارات، ويتناقلها الناس جيلاً بعد جيل حتى تغدو قطعة فنية وأدبية في

حياة الأمة وحضارتها، والأسطورة تنسب عادتاً إلى كائن له قداسة أو رهبة أو إلى أمر من أمور الغيب مما ليس للبشر عليه سلطان مما يكون لها أبلغ الأثر في حياة المرء فيساعد ذلك على انتشارها، فضلاً عن الجهل السائد في الأزمنة السحيقة، كل ذلك كان له أثر في انتشار وتأثير الأسطورة.

وينظر كثير من المفكرين والفلاسفة إلى هذه السير والقصص والطقوس والملاحم والأناشيد الروائية الأسطورية والخرافية مثل (قصة الخليقة) و(ملحمة كلكامش) و(سيرة عنتر بن شداد) و(زرقاء اليمامة) وغيرها، على أنها مدونات تاريخية وبوصفها كانت بمثابة العناصر التاريخية الأولى.

وتجدر الإشارة إلى حرص الناس على الاحتفاظ بالأساطير والحكايات الخرافية ونقلها بالرواية غير المدونة عبر الأجيال، فضلاً عما نقل منها إلينا بصورة مدونة قد ارتبط بتجارب الإنسانية منذ القدم، وعلى الرغم من تشعب وكثرة وتنوع مضامين هذه الحكايات وتعدد مصادرها فأنها بقيت شكلاً من أشكال التعبير عن روح الإنسانية، لاسيما من خلال ارتباطها بالإنسان ومعالجتها لأجزاء مختلفة من حياته، كما عكست لنا تصورات كل الأزمنة والحضارات سواء في صنعتها الأدبية أو الفنية، وكذا نجد أن الأساطير والخرافات ما هي إلا (الحصيلة المشتركة لدى كل الشعب)، وربما كان كل ما تقدم يقف وراء عدم تمييز المؤرخين القدماء النص الأسطوري من

التأريخي، أو على الأقل هم لم يدعوه باسم خاص يميزه عن غيره من الأخبار التي أوردوها.

وظائف الأساطير (Functions The Legends):

يمكن أن نحدد وظيفة الأسطورة بناءً على ما تقدم بما يلي:-

1 - **وظيفة دينية:** الغاية منها ربط العالم الدنيوي بطقوس العالم وتقديس الآلهة.

2 - **وظيفة أخلاقية:** تكشف عن العادات والتقاليد والسلوك الواجب على الإنسان الالتزام بها.

3 - **وظيفة اجتماعية:** ترسيخ النظام القبلي وربط المجتمعات فيما بينها على أسس متينة وأواصر قبلية.

4 - **وظيفة نفسية:** احترام المشاعر النفسية التي كانت قائمة أساساً على مبدأ الخوف والفزع من ظواهر لا يجد مبرراً معقولاً لتفسيرها.

5 - **وظيفة تعليلية:** تفسر أسباب النشوء وعلة وجود الكون والإنسان.

وهكذا نجد أن الأسطورة ترتبط بالتاريخ، إذ أن الثقافة الأسطورية والتأريخ ناتجان ثقافيان ينشآن عن ذات النوازع والتوجهات، أي أن كلاهما يجتهد لمعرفة أصل الحاضر، والكيفية التي سيرت أحداث الماضي للوصول إلى نتائج الحاضر، وبما أن الأسطورة سبقت التدوين التأريخ لذا يُعَدْ علم التاريخ قد ولد من رحم الأسطورة.

التفسير الديني للتأريخ (Religious Interpretation of History):

يعتمد التفسير الديني للتاريخ على رؤية رجال الديانات السماوية الثلاثة للتأريخ، إذ أن الفكر الديني تطور من عبادة قوى الطبيعة إلى عبادة الأوثان والأصنام، ثم تطور فيما بعد إلى التوحيد والإله الواحد، فالإنسان لجأ إلى تقديس الظواهر الطبيعية تحت ضغط الخوف من المحيط المجهول الذي تتحكم به قوى الطبيعة، لذا لجأ إلى عبادة هذه القوى القاهرة التي لا يستطيع أن يتحكم بها وعجز عن معرفة أسبابها، لاسيما وأنه كان ولازال يخاف المستقبل الذي كان مجهولاً بالنسبة له ولا دور له في التحكم فيه، وقد تمثلت تلك القوى بالأمطار والرياح والزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها، وتركزت عبادة هذه القوى مع اكتشاف الإنسان للزراعة، إذ أن أكثر جوانب النشاط الزراعي تعتمد على القوى الغيبية التي تتحكم بالمطار أو المياه والرياح والفيضانات والإنبات والخصب والتكاثر، وهذه قوى انتاجية عبدها الإنسان وتقرب لآلهتها، فضلاً عن قوى العواصف والبراكين والسيول والزلازل التي تقلقه دائماً لأنها تقتله وتدمر ممتلكاته، فما كان من الإنسان أمام ضعفه تجاه هذه القوى إلا أن قدسها وعبدها وقدم القرابين لها ضنا منه أنها قادرة على حمايته والعناية به، فكان التأريخ أسيراً لهذه القوى، ويدور حول علاقة الإسنان بهذه القوى.

ومع مجيء الديانات السماوية الكبرى تغير المنظور التأريخي للعلاقة بين الإنسان والدين باعتباره محركاً مهماً للتأريخ، بدا التفسير الديني للتأريخ

يعتمد على الأفكار الروحانية المبنية على أسس منطقية، فالديانة اليهودية مثلاً تركز على فكرة ارتكاب آدم عليه السلام للخطيئة في الجنة ومعصية الله وعدم الامتثال لأمر الله عندما طلب منه عدم الأكل من شجرة معينة، فكان العقاب الإلهي له بإنزاله إلى الأرض، مع نزول الإنسان للأرض يبدأ التاريخ الإنساني، ثم تورد الديانة اليهودية فكرة العقاب الجماعي لبني آدم من خلال الطوفان الذي أرسله الله تبارك وتعالى نتيجة لمعصية بني آدم، وجاءت الديانة اليهودية بفكرة التجسيد المتضمنة تجسد الله تبارك وتعالى على هيئة إنسان يعيش مع الناس ويحاول إصلاحهم وارشادهم على الطريق القويم الذي يرتقي ببني آدم نحو الهدف الذي خلقهم الله لأجله، ويعد المطيعين لتلك الأوامر بالحياة السعيدة في الدنيا، لذا نجد أن الديانة اليهودية تعتبر أن الله هو المحرك الأوحد للتاريخ.

ويقسم التاريخ اليهودي على قسمين رئيسين هما: يبدأ الأول مع نزول التوراة، ويمتاز بالغموض بسبب عدم وجود إشارة في التوراة للحياة بعد الموت مما سبب عدم وضوح رؤية الإنسان للمستقبل، في حين عالج القسم الثاني هذه المشكلة لاسيما بعد أن أدرك مدونو التوراة إن عدم الإشارة إلى فكرة الخلود قد اضر بالديانة اليهودية وأصاب معتنقيها بالتشاؤم، إذ يعد الخلود المقتطع أهم جزء في التاريخ، فالخلود في نظرهم غايةً وخلوداً لطالما كافح الإنسان من أجل الحصول عليه، وهو ما لم يحصل أبداً إلا في اسطورة الخلود السومرية.

ونحت الديانة المسيحية نفس منحى الديانة اليهودية في نظرتها إلى مجموعة من الأفكار السماوية كالعقاب الإلهي لآدم والطوفان والتجسيد، إلا أنها تختلف مع اليهودية في نظرتها لفكرة القيامة والخلود، إذ أن الخلود عند المسيحيين تمثل في عملية صلب السيد المسيح ﷺ الذي يعد بمنظورهم رمزاً للخلود والتكفير عن ذنوب البشر، والمسيحية تربط التأريخ بالله تبارك وتعالى، إذ ترى أن الله هو المحرك الوحيد للتاريخ.

تفسير التاريخ الإسلامي (Interpretation of Islamic History):

تختلف وجهات النظر التي تحاول شرح وتفسير التاريخ الإسلامي بكل تعقيداته وزخمه بالأحداث والثورات والقلاقل، بناءً على الخلفيات الإيديولوجية للمحللين والأدوات التحليلية التي يستخدمونها.

وعدّ المؤرخين المعروفين **بالقوميين** في العصر الحديث التاريخ الإسلامي على أنه **تاريخ عربي محض**، ويرى مؤرخين **شيوعيّين** أن **التجاذبات السياسية والعسكرية** في مجمل التاريخ الإسلامي كانت بسبب **العوامل الاقتصادية والصراع الطبقي** والذي هو حسب رأيهم فوق كل اعتبار آخر، في حين يحاول **المؤرخون العلمانيون استبعاد العامل الديني ضمن تفسير الأحداث**، إذ تركزت جهودهم على **إعادة استكشاف التأريخ العربي القديم** الذي يعتقدون بأنه **الأصل في النهضة العربية** وما **الإسلام إلا بذرة التطور** في الفكر العربي.

ويحاول **المؤرخون ذوو التوجه الإسلامي** إثبات أن **الإسلام** كدين **أحدث ثورة اجتماعية وحضارية** منحت العرب دولتهم وحضارتهم، **ويؤكدون على**

تسامح الإسلام الذي أوصل العديد من الأعراق الإسلامية الأخرى من غير العرب إلى سدة الحكم، فضلاً عن أن **بعثة النبي محمد بن عبد الله ﷺ كانت نقطة فصل غيرت مجرى تأريخ المنطقة** بشكل خاص والعالم بشكل عام، وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين ذوو التوجه الإسلامي **يتفرقون في تفسيرهم لأهم أحداث التأريخ الإسلامي بناءً على خلفياتهم الطائفية**، فمثلاً حينما يحاولون أن يفسروا تفاصيل الفتنة وخروج معاوية بن أبي سفيان على الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام يختلفون كثيراً، فمنهم من يؤكد **على عدم الخوض في هذه الحادثة** على اعتبار أن **الاثنين من الصحابة وكلاهما قد التحق بربه، وفريق آخر يؤكد خطأ معاوية في الخروج على علي عليه السلام ويثبتون أحقية علي بدلالة انتخابه وبيعته**، ويرون أن الخلافة أمراً سياسياً يتفق عليه المسلمون وينعقد بالبيعة، ويؤكد طرف ثالث أحقية علي بن أبي طالب وآل بيته عليهم السلام في خلافة المؤمنين بتقرير رسول الله محمد ﷺ، جاعلين الخلافة شأناً شرعياً بخلاف.

ويصنف الدكتور علي الوردي العوامل التي تأثر في تفسير التأريخ الإسلامي بما يأتي:

1. العوامل العقائدية: ويقصد بها تلك العوامل التي يكون لأمور الدين والعقائد دوراً أساسياً في تفسير التاريخ الإسلامي.
2. العوامل الثقافية: ويقصد بها الثقافات والعادات المختلفة الموجودة أساساً عند العرب، أو تراث الشعوب التي التقوا بها عند

انتشارهم في الأقاليم المجاورة كتراث فارس وتراث اليونان وتراث الرومان.

3. عوامل حضارية فلسفية : ويقصد بها مجموعة العلوم والفلسفات التي تأثر بها المسلمون عند اختلاطهم بالشعوب الأخرى كالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية.

4. العوامل الاقتصادية : وهي هنا المال والثروة التي لها أثر رئيس في الكثير من الحروب والنزاعات التي رسمت تاريخ الجنس البشري.

مصادر التأريخ العربي الإسلامي (Arab-Islamic History Sources):

أ. **القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث النبوي الشريف**: يعد القرآن الكريم من أهم وأوثق المصادر المدونة عن تاريخ العرب القديم، ومع أنه ليس بكتاب تاريخي إلا أنه يصور لنا جوانب كثير من حياة العرب قبل الإسلام من الناحية الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فوصف الأقوام التي سكنت أرض العرب والمناطق التي سكنوها ووصف مدنيتهم وثرواتهم وغير ذلك، ثم جاءت كتب التفاسير لتشرح باستطراد ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لاسيما التاريخي منه، وحوت كتب الحديث النبوي الشريف على أخبار لكثير من نواحي العرب قبل الإسلام.

ب. **الشعر العربي القديم**: وهو من المصادر المهمة لدراسة تاريخ العرب القديم، ويمتد لـ(120سنة) قبل الإسلام، وهو يقدم صورة للحياة السياسية والاجتماعية والسياسية للعرب قبل الإسلام، على الرغم مما أثير من شكوك أو إنكار لهذا الشعر أو عن جزء منه.

ج. **المؤرخون المسلمون الأوائل**: وهي الروايات والأخبار التي دونها الكتاب العرب المسلمون الأوائل بعد أن كان يتناقلها العرب شفاها عن طريق الرواة والإخباريين، وهي تحتوي على الكثير من الأساطير والمبالغة، وتعد الكتب التي دونت في شمال شبه جزيرة أكثر مصداقية من تلك التي دونت في جنوبها، وفي هذه الكتب الكثير من أخبار العرب قبل الإسلام وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية والحضارية.

النظريات الحديثة في تفسير التأريخ

(Modern theories in the interpretation of history)

وضع عدد من فلاسفة التأريخ مجموعة من النظريات التي تحاول أن تفسر حركة التأريخ ومجرياته، وسنبين في أدناه آراء أشهر فلاسفة التأريخ، مبينين بإيجاز رأيهم في التأريخ ونظرياتهم في تفسيره:

- ابن خلدون:

عبد الرحمن بن محمد الكندي، الملقب بولي الدين والمشهور بابن خلدون، وهو فيلسوف ومؤرخ وله باع في علم الاجتماع، ولد في تونس سنة (732هـ/1332م)، وتوفي في القاهرة عام (808هـ/1406م)، شغل مناصب رفيعة في دولة بني مرين، فشغل منصب القضاء على المذهب المالكي في عهد السلطان أبي سالم، نزح إلى الأندلس وأخذ يمتهن الخطابة والتدريس، وكان من المقرّبين لثالث ملوك بني الأحمر أبي عبد الله، والذي كلفه بالانكباب على كتابة التاريخ، كما استأثر بعدّة وظائف حكومية وقضائية في الأندلس خلال خمس وعشرين سنة، له عدة مؤلفات منها: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، واشتهر بمقدمته التي عرفت بـ(مقدمة ابن خلدون)، وله (كتاب في الحساب) و(رسالة في المنطق).

ويقدم ابن خلدون في مقدمته تفسيراً لنشوء الدولة في حياة الناس، فهو يرى أن اجتماع البشر ضرورة تحتمها متطلبات الحياة التي يعجز الفرد الواحد عن الإحاطة بها، فكان لا بد لبني البشر من التعاون الذي هو أساس **الاجتماع البشري**، غير أن هذا الاجتماع لا يسلم من وقوع الخلاف والقتال بين الأفراد **لتعارض المصالح بينهم**، يعقبه قيام **الفريق الغالب** بتنصيب نفسه فيصلاً في شؤون الناس وقضاياهم وجلوسه فيهم **مجلس الحاكم بينهم**، وهذا النوع من الملك يعرف **بالملك الطبيعي** الذي يجري فيه **حمل الناس وسوقهم** على مقتضى

غرض الحاكم وشهوته، لذلك **يأتي الظلم والجور والإضرار** بمصالح الناس وتكليفهم فوق ما يحتملون فتقع النفرة والعداوة ويحملهم ذلك على العصيان والمنازعة ثم يقع القتل، ولا تزال هذه حالهم حتى ينجحوا في الوصول إلى **وضع أساس تتولى جماعة العقلاء والبصراء** منهم بلورته وإخراجه، ويجعلونه المرجع في تصريف شؤونهم وتدبير مصالحهم، وهذا النوع من الحكم يعرف **بالملك السياسي** الذي يجري فيه حمل الناس على **مقتضى النظر العقلي**، غير أن هذا الحكم لا يظهر معنياً بما للحياة البشرية من علة سابقة عليها، لذلك فان **الملك السياسي** وان كان **ارفع قدراً** من الملك الطبيعي، **مشوب بالعيوب** التي لا يمكن إغفالها أو إهمال دورها في شقاء الحياة البشرية، ومن هنا **جاءت السياسة الدينية التي تأخذ بعين الاعتبار رعاية مصالح الناس في الحياة الدنيا والآخرة أتم وأكمل**، وهذا النوع **يعرف بالخلافة** التي يجري فيها حمل الناس على مقتضى الشرع.

- فيكو:

هو جان باتيستا فيكو (1668- 1744م) **فيلسوف إيطالي** يعد من **أوائل** من كتب في فلسفة التأريخ، ولد وعاش في نابولي، وعلى الرغم من أنه عانى الفقر وتجاهل معاصريه في حياته، إلا أنه يعدّ **المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ في الفكر الفلسفي الغربي**، ويمكن القول إن **مكانته** في التراث الغربي **تماثل مكانة ابن خلدون** في التراث العربي، وألف كتابه **(العلم الجديد)**، وعندما تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية وجه الأنظار إلى أهمية أفكاره

وأصالتها، والتفت إليه أبناء بلده بعد أن أغفلوه طويلاً، وفي النصف الأول من القرن العشرين **قام الفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشه بإحياء فكر فيكو من جديد**، وأفرد له كتاباً مستقلاً، ثم توالت الدراسات الدقيقة التي سلطت الأضواء على جوانب فكره المختلفة سواء في فلسفة التاريخ.

وقد وضع فيكو قانون تطور الأمم الذي يحدد ثلاث مراحل مرّت بها الأمم، وله نظرية المعرفة التاريخية وأثرها، ومبدأ فيكو الأساسي في المعرفة وهو أن ((الإنسان لا يعرف إلا ما يصنعه بنفسه)).

- هيجل:

جورج ولهام فريد يريك المشهور بهيجل، فيلسوف ألماني ولد في شتوتكارت في 1770م، ومات في برلين بسبب الكوليرا سنة1831م، صاحب النظرية الديالكتيكية أو الجدلية، درس في جامعات هيرلبرغ وبرلين قرابة الخمسة عشر عاماً، له سبعة مؤلفات هي: (موسوعة العلوم الفلسفية) و(منطق وفلسفة الطبيعة) و(فلسفة الجمال) و(تاريخ الفلسفة) و(دروس في فلسفة الدين) و(مبادئ فلسفة الفقه) و(فينومولوجيا الذهن) والذي يتعرض فيه للظواهر الذهنية وآثارها في حياة الإنسان.

والتأريخ الحقيقي عند هيكل هو ذلك التاريخ الذي يهيمن على الوقائع ويصوغها ضمن منطقها الداخلي من خلال تفاعل الشخصيات التاريخية نفسها مع المقصد الخفي الذي يبلوره المنطق الباطني للتاريخ، حيث يقوم التاريخ وفقاً لهذه الفلسفة بتفسير الوقائع واستخراج القوانين والتنبؤات لما سيجرى من غير

التقيد بزمن معين يراد له أن يبسط قوانين وآلية جريان أحداثه على زمن آخر، والسبب في ذلك أن العقل كما يراه هيجل هو جوهر التاريخ، ومن ثم فهذا العقل هو الذي يتحكم في أحداث العالم عن طريق التاريخ نفسه، وبالتالي فكل حدث من أحداث التاريخ إنما جرى وفقاً لمقتضيات العقل الذي يموضع الأحداث العالمية لتخدم قصداً معيناً أو هدفاً محدداً ولكن من تحت مظلة التاريخ، وهكذا نرى أن فلسفة التاريخ عند هيكل تعتبر العقل نفسه هو من يسير التاريخ بحيث يرتب أحداثه على نحوٍ يجعلها سائرة نحو هدف أو مقصد بعيد المدى.

- اشبنغلر:

ولد أوسفالد اشبنغلر في مدينة بلاكنبورغ في ألمانيا سنة 1880م، درس العلوم الطبيعية في جامعة برلين، ثم رحل بعد تخرجه إلى مدينة ميونخ ليعيش بقية عمره في القراءة والكتابة معتزلاً الناس، ومنقطعاً للبحث والتنقيب حتى مات في عام 1936م، وترك مجموعة من المؤلفات أبرزها (انهيار الغرب) الذي دُرِّسَ في أوروبا وأميركا وتُرجِم إلى عدة لغات، من بينها اللغة العربية، ويرى اشبنغلر بأن الحضارات لا يؤثر بعضها في بعض، بل إن كل حضارة ليست سوى دائرة مقفلة لا يدخل إليها شيء ولا يخرج منها شيء، ويعتقد اشبنغلر أن (الحضارة الفاوستية) أي (حضارة الغرب الحديث) هي أرقى حضارة عرفها التاريخ.

وقد أطلق مصطلح (التشكل الزائف) على أي حضارة تعتمد على أسلوب حضارة سابقة، فهذه الحضارة برأيه لا تكون إلا زائفة، ومن أبرز الأمثلة عنده على هذا التشكل الزائف هو الحضارة العربية، التي يراها عالة على الحضارة البيزنطية، مع أنه يستمد الكثير من آراءه من مقدمة ابن خلدون التي ترجمت إلى الألمانية سنة 1910م، لذا يعد اشبنغلر حاقد على العرب وواحد من غلاة المستشرقين، ولعل من المناسب أن نورد نصاً يشير بوضوح إلى ذلك بقوله: "يوجد في الحضارة العربية فقط علة واحدة هي الله، الذي يكمن دائماً وراء كل معلول، لذلك فإن وجهة النظر العربية ترى أن الإيمان بقوانين الطبيعة هو بمثابة شك في قدرة الله الكلية"، مع أن الحضارة العربية هي الوحيدة في زمنها التي أطلقت سراح الذهن العلمي بعدما تشنج في أوروبا الإقطاعية، ويذكر اشبنغلر أيضاً أن الغرب قد أخذ بالانهيار، وهو يعتقد بأن حضارة الغرب بدأت تستنفد إمكاناتها.

- آرنولد توينبي:

ولد المنظر الانكليزي آرنولد توينبي سنة 1889م، درس في جامعة أكسفورد وجامعة لندن، وبعد تخرجه عمل موظفاً في وزارة الخارجية البريطانية، كما عين مديراً للمعهد الملكي للشؤون الدولية، وألف واحد من أهم كتب فلسفة التأريخ وعنوانه **(دراسة التاريخ)**، ابتدأ بتأليفه سنة 1921م وانتهى من تأليفه في سنة 1961م، ويقع هذا الكتاب في اثني عشر مجلد، أي أنه اشتغل أربعين سنة في تأليف هذا الكتاب النفيس.

ومع أن هذا الكتاب يعد من أشهر الدراسات الأوروبية المتخصصة بنظرية التاريخ إلا أنه لم يترجم إلى العربي حتى الآن، والمترجم إلى العربية ما هو إلا ملخص من أربع أجزاء لخصها بعض طلاب توينبي، وتوينبي يعترف بأنه متأثر بابن خلدون، وهو يحتفظ بعلاقة جيدة مع العرب، واشتهر توينبي بنظرية **(التحدي والاستجابة)**، وهذه النظرية تقول أن البيئة من شأنها أن تتحدى الناس، فإن استجابوا للتحدي بنجاح، فإنهم سوف يتمكنون من إنشاء حضارة قوية ذات شأن، وإن هم أخفقوا في ذلك، فإن نمو حضارة متقدمة في تلك البيئة (التي قد تكون شديدة القسوة، كالصحراء في شبه الجزيرة العربية) سوف لن يكلل بالنجاح بتاتاً، أي أن نمو حضارة من الحضارات أمر مرهون بمدى استجابة الناس للتحديات التي تواجههم، ويقول توينبي أن كل حضارة تمر بطورين اثنين: الطور الأول هو طور النمو، وتكون الاستجابة للتحديات موفقة دوماً، أي أن الناس يكونون أقدر من القوة التي تعارضهم وتعرقل تفتحهم، أما في الطور الثاني تكون التحديات أقوى من كفاءة الناس، الذين يعجزون عن الاستجابة لها، ففي هذا الطور يظهر التحدي الذي يؤدي إلى ردّ فعل مخفق، ثم يظهر تحدٍّ أكبر من السابق، فيكون الرد عليه أضعف من الرد الأول، ويستمر الحال هكذا إلى أن تضمحل الحضارة أو تشيخ. ويعتقد توينبي بأن الحروب هي السبب الرئيس لانهيار المجتمعات أو الحضارات، ويستشهد على ذلك بالمجتمع الآشوري القديم، فيقول توينبي: "**لقد هوت آشور جثة هامدة، ولكنها مدججة بسلاحها، ومن المعلوم أن تسليح آشور هو أقوى تسليح في**

غرب آسيا خلال القرن السابع قبل الميلاد، ومع ذلك، فقد انهارت بسرعة قصوى أمام هجمة الميديين والبابليين"، ثم يشير توينبي إلى قول السيد المسيح (عليه السلام): "**من يأخذ بالسيف، فبالسيف يهلك**".

ثم يقول توينبي أنه في خضم التحديات التي تواجه المجتمع يظهر **المخلص (البطل)** الذي ينقذ الأمة من المأزق الذي تمر فيه، وهذا المنقذ يكون أحد ثلاثة:

1 - **المحارب** الذي يشهر سيفه للغزو الخارجي.

2 - **الداعي للسلفية** والتي هي وثبة للخلف نحو الماضي.

3 - **الداعي للمستقبلية** (أي الإغراق في حضارة الآخر واعتناق مبادئها).

وهكذا تتبنى المجتمعات طرقاً للوصول نحو الأفضل، والسلفية والمستقبلية يحاولان الإفلات من كابوس الواقع عن طريق اجتياز عامل الزمن مع ثبات عامل المكان، ويجد توينبي أن السلفية والمستقبلية قاتلتان للحضارة، فالأولى لا تؤدى إلا إلى التقوقع حول الذات وبالتالي التحجر، بينما لا تؤدى المستقبلية أو التشكل أو التلون إلى قيام حضارة مبدعة بل مقلدة وهكذا يرى توينبي أن الحضارات تنتهي ليس بفعل الغزو الخارجي، بل نتيجة الإخفاق في الاستجابة للتحدي القائم.

ويرى توينبى أن الاستجابة الناجحة للتحدي القائم تأتى من خلال أفراد معينين يمرون في حياتهم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال والاعتكاف: حيث تتاح لهم فرصة النضج والارتقاء الروحي لاسيما وأن الحياة الروحية هي المحك الحقيقي لرقي المجتمعات، والعزلة هي من اختيار هؤلاء الأفراد وبمحض إرادتهم الحرة وليست مفروضة عليهم وهي مرحلة لازمة لتحقيق الاستنارة الروحية.

المرحلة الثانية : مرحلة العودة: إذ يعود هؤلاء المخلصين إلى أفراد مجتمعهم بعد أن تتحقق لهم الاستنارة الروحية ويقومون بالدعوة لقيم عليا جديدة وإشراك جميع أفراد المجتمع في هذه الدعوة من اجل الارتقاء بالمجتمع والخروج به من مرحلة الأزمة.

ويمثل توينبى على ذلك من تاريخ الأديان فيقول:

1 - صعود موسى عليه السلام إلى الجبل لميقات ربه تعد فترة من التجلي الروحي، عاد بعدها حاملاً الألواح و مبشراً بالناموس (أول تشريع سماوي على الأرض).

2 - بوذا يقضى سبع سنوات من العزلة يفكر في الآلام الناس وينشد الخلاص، ثم يعود إلى المجتمع بعد أن يكون قد حقق لنفسه مرحلة الاستنارة.

3 - السيد المسيح عليه السلام وفراره إلى مصر، ثم عودته إلى القدس تستقبله الجماهير ودعوته للحب والتسامح بين البشر.

4 - محمد ﷺ وتعبده في غار حراء سعياً للوصول إلى الحقيقة ليعود بعد ذلك مبشراً بالدعوة الإسلامية.

ويضيف توينبي أن مرحلة الاعتزال والعودة مرت بالمصلحين أيضاً أولئك الذين استجابوا للتحدي بنجاح بعد انهيار المجتمعات سواء من الصوفية متمثلة في (أبو حامد الغزالى) أو المفكرين أمثال (ديكارت).

التحليل التأريخي (Historical Analysis):

يعد التحليل التأريخي أهم ركائز التأريخ، وعلى المؤرخ أن يتأنى في قبول التفسيرات العصرية للنصوص القديمة، وهكذا التفسيرات في العصور السابقة على الوثيقة، أو التفسيرات في العصور اللاحقة على الوثيقة، ومنشأ ذلك أنّ لكلّ زمان ومكان اصطلاحات وخصوصيات وملابسات للأحداث والأمم التي أصابتها تلك الأحداث، ومفاهيم خاصة به، وعلى المؤرخ أن يستوعب ظروف كل قضية سواء كانت القضايا الكلّية أو الجزئية الشخصية أو الزمنية أو المكانية أو غيرها، وألاّ يصدر أحكام حسب موازينه الشخصية، كما يجب على من يريد تحليل التاريخ وتناول فلسفته، التجرّد عن العواطف والأهواء والميول والاتّجاهات السابقة، وإلاّ فالإنسان بطبعه يميل إلى الأهواء والتبرير، وبذلك لا يتمكّن من تناول فلسفة التاريخ تناولاً واقعياً، وإنّما يفسّر التاريخ حسب نظره وبعيداً عن المنطق، فالموضوعية مطلوبة في كلّ شيء، وخصوصاً في التاريخ، وعلى المؤرخ أن يحتاط في النظر إلى آراء غيره سواء كانوا يسردون التاريخ أو يحلّلونه.

لكل زمان ومكان وجماعة وأمّة مصطلحات تفيد المحلّل التاريخي كثيراً، وعلى محلّل الحدث التاريخي أن يقوم بمقارنة الظواهر الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية واللغوية في مختلف المجتمعات والأنظمة والدول، حيث للألفاظ معانٍ متعدّدة بسبب اختلاف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، وعلى الرغم من أن التخيل يسدّ بعض الثغرات الموجودة في التأريخ إلا أنه لا يصحّ الاعتماد على التخيّل إلاّ بعد توفّر الجوانب المختلفة، والمناحي المتعدّدة لهذه الأمور.

التدوين التأريخي (Blogging historic):

يقصد بالتدوين التأريخي كتابة المؤرخ لكل ما يراه جديراً بالتسجيل أو التدوين من المعلومات التي تتصل بالجوانب السياسية أو الحضارية أو ذات المنحى الحضاري، وتدون حوادث التأريخ بعد وقوعها بزمن قصير أو طويل، وتجدر الإشارة إلى أن المسافة الزمنية كلما طالت بين زمن وقوع الحدث وزمن تدوينه كلما صَعُبَ تقصي حقيقة ما حصل بالفعل، مع ضرورة الانتباه إلى أن المؤرخ الذي يدون لحوادث التأريخ القريب منه أو المعاصرة له تكون في الأغلب منحازة أو غير دقيقة بسبب تأثره بخلفيته العقائدية سواء أكانت دينية أو طائفية أو سياسية أو بسبب ميوله النفسية أو بسبب تأثره بالسلطة الحاكمة.

ومع أن المؤرخين لاسيما المعاصرين للحدث التأريخي كثيراً ما يدونوا الأحداث السياسية والعسكرية إلا أنه يجب على المؤرخ أن لا يؤرخ لتغطية أعمال الملوك أو الحكام حسب، بل تتعدى مهمته أبعد من ذلك بكثير، إذ ينبغي عليه أن يغطي جميع الجوانب الحضارية كالاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفنية، وهذه الجوانب هي التي تفصح عن إمكانات العقل

الإنساني على مر العصور، وهذا ما يشير إليه فولتير بقوله: "**ولكني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة، وبضع مئات من المعاهدات، لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، حيث لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة**"، والتدوين التأريخي يحتاج إلى **حس تأريخي ووعي تأريخي**.

والحس التأريخي هو إحساس جماعة أو أمة بقيمة الزمن، ولو بشكل نسبي، دون أن يترتب على ذلك أية ممارسة متقدمة في مجال المعرفة التاريخية أو التدوين التاريخي المنظم القائم على ربط الأسباب بمسبباتها وربط الحوادث في إطار علاقاتها الزمنية والمكانية.

أما الوعي التاريخي: فهو حالة متقدمة في مجال المعرفة التاريخية وامتلاك القدرة على ممارسة التدوين التاريخي، فالوعي التاريخي هو حالة أكثر تقدماً من الحس التاريخي لجماعة أو أمة من الأمم، والكتابة التاريخية لا تتحقق قبل تحقق الوعي التاريخي عند أمة أو جماعة.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التاريخية هي المصنفات التي عاصرت الحدث أو القريبة منه زمنياً، أما المراجع فهي الكتب الحديثة، إلا أن مصادر التأريخ تختلف بحسب الحقب التاريخية، فمصادر التأريخ القديم هي الآثار والرسوم والنقوش والكتابات القديمة كالمسمارية والهيروغليفية والمسندة واللاتينية والكتب التي ترجمت هذه النقوش والكتابات، أما مصادر التأريخ الإسلامي أو التأريخ الوسيط ومصادر حقبة التأريخ الحديث فهي المصنفات

القديمة المعاصرة أو القريبة للحدث، في حين أن مصادر حقبة التأريخ المعاصر هي الكتب الحديثة.

صعوبات الأخذ من المدونات التأريخية

(Difficulties of taking historical blogs)

إن الباحث الذي يستقي معلوماته من المدونات التأريخية يجد صعوبة في إنجاز بحثه بالدقة التي يبغيها لأسباب شتى يمكن إجمالها بما يأتي:

1. تأثر كتابات المؤرخين المعاصرين للحوادث التأريخية كما أشرنا بالتأثيرات الدينية والطائفية والقومية، فضلاً عن تأثيرات المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الأمر يصعب التجرد عنه عند المؤرخين المعاصرين لحدث التأريخي.
2. الميول النفسية للكاتب وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه المؤرخ، إذ قد يتقبل أو يستحسن حدث أو سبب لحدث تأريخي ولا يقبل غيره أو يكون ميالاً لسبب دون آخر بحسب تقبله النفسي للحدث، أي أن المؤرخ نراه يرجح الحدث التأريخي الذي يتوافق مع ميوله النفسية ويسهب في شرحها واقتفاء الأدلة التي تدعم وجهة نظره في حين يتجاهل الحدث الذي لا يروقه أو لا يتوافق مع ميوله النفسية ويسرد الأدلة التي تضعف من هذا الحدث، وهذا يعني أن المؤرخ هو الذي يحدد أهمية الحدث التأريخي بنفسه.

3. افتقار بعض المؤرخين للدقة في عملية تقصي الحقائق بسبب الضغوط أو الموانع السياسية التي تحول دون معرفة أصل الحدث أو أسبابه الحقيقية فنراهم يدونون ما يشاع بين العامة دون الوصول إلى مصدر الحدث.

4. قصور نظرة الكثير من المؤرخين على جانب محدد في أسباب العلة التأريخية دون الإحاطة بباقي العلل التي تأثر في الحدث، إذ أن الحدث كثيراً ما يكون مرتبط بعوامل أخرى جغرافية أو دينية أو اقتصادية أو غيرها.

مراحل التدوين التاريخي عند المسلمين

(Blogging historical stages when Muslims)

كان العرب قبل الإسلام يؤرخون بأهم الحوادث التي مرت بهم كظهور التبابعة وسيل العرم وغزو الأحباش لبلاد العرب الجنوبية وإزالتها وغلبة الفرس وبأيام البسوس وغيرها، على أن تواريخهم لم تكن مدونة في غالبيتها بل كانت تتناقل شفاهاً على ألسن الإخباريين، لذا فقد دخلت في الكثير منها الأساطير والخرافات والمبالغات ودست فيها الكثير من الإسرائيأتيات.

ويبدو أن نزول القرآن الكريم كان له أثر واضح في حياة العرب في مجال التدوين التأريخي، إذ انتبه العرب إلى تفاصيل أحداث كبيرة في التاريخ، بدءاً بابتداء الخليقة وصراع الخير والشرّ في الجنّة، وهبوط آدم وحواء

إلى الأرض، ثمّ صراع الخير والشرّ بين هابيل وقابيل، وسلسلة السيَر ذات الأثر الحاسم في تاريخ البشرية، لاسيما ظهور الأنبياء والأحداث التي مرت بهم وأحوال الأمم التي عاش فيها هؤلاء الأنبياء، واندفع العرب المسلمين إلى الاهتمام بالتأريخ الصحيح امتثالاً لقوله تعالى: **﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى﴾**.

واتفق الصحابة على ابتداء التأريخ من هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، وجعلوا شهر محرم أول السنة الهجرية، ولما كان الليل في الفكر العربي سابق للنهار وفيه يمكن تمييز الهلال ورؤيته لذا اتخذوا من ظهور الهلال بداية لتقويمهم.

وبدأ الاهتمام الحقيقي في التدوين أو لنقل البدايات الحقيقية للتدوين التأريخي مع الاهتمام الذي أولاه المسلمون للسيرة النبوية والمغازي (الأعمال الحربية للرسولﷺ) ونسب قريش وتراجم رجال الفقه والحديث، لذا نجد أن التدوين التأريخي في هذه المرحلة ارتبط بالعلوم الدينية.

ودونت الروايات التاريخية شأنها شأن السُنة النبوية في وقت مبكّر، والكتابة من هذا النوع كانت منتشرة بين الصحابة، ومن رجال هذه المرحلة: سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي وكتب شيئاً من حياة الرسول الأكرم ﷺ، وكان أبوه سعد بن عبادة يحتفظ بصحف كتبها بين يدي الرسول ﷺ، وسهل بن أبي خيثمة الأنصاري الذي كانت له عناية خاصّة بالسيرة النبوية ومغازي

الرسول ﷺ، وقد وصل كتابه إلى حفيدة محمّد بن يحيى بن سهل، فكان إذا روى منه قال: ((وجدت في كتاب آبائي)).

ثم حلت المرحلة الثانية والتي تعد مرحلة التدوين التاريخي الجزئي المختصّ، وجاءت هذه المرحلة بعد انتشار عملية التدوين، إذ توزع اهتمام العلماء على أنواع العلوم، وأكثرهم تفرغ لجمع الحديث بشكل عامّ، ومنهم من تخصّص بأحاديث السُنن والأحكام التي هي موضع اهتمام الفقهاء بالدرجة الأولى، فيما اهتم آخرين بكل ما يتّصل بالسيرة النبوية بشكل عامّ لاسيما المغازي منها بشكل خاصّ، فظهرت في هذه المرحلة كتب المغازي والسيرة على مستوىً واسع، كعروة بن الزبير (ت 93هـ) الذي كتب في المغازي، وأبان بن عثمان بن عفّان (ت 105هـ) وكتب في السيرة والمغازي، وغيرهم، وامتازت المعلومات التأريخية التي وردت في هذه المصنفات بأنها كانت مجزّأة وغير منتظمة، وفي غالبها روايات قصار تتحدّث جزئية من الحدث التأريخي.

ثم جاءت المرحلة الثالثة التي كانت أكثر تطوراً في التدوين التأريخي، سعى من خلالها الكتاب العرب إلى توحيد صورة الحدث التاريخي من أجل وقائع تأريخية متناسقة ومترابطة الأحداث، فتميّزت الروايات التاريخية عن روايات الحديث، ويمكن أن نصنف مدونات هذه المرحلة على أنّها كانت تواريخ مرحلية، كما تخصّص الكتاب الواحد بأخبار مرحلة من مراحل التاريخ أو حادثة مهمّة من حوادثه، فظهرت كتب في السيرة النبوية والمغازي

وفي السقيفة وفي الردّة وفي مقتل الخليفة عثمان وفي حرب الجمل وفي حرب صفّين وفي النهروان، وغيرها، كما كان لبعض المؤرّخين عشرات الكتب تناولت عشرات الأحداث التاريخية، ومن أبرز مؤرّخي هذه المرحلة: عوانة بن الحكم (ت 147هـ) ومحمّد بن إسحاق (ت 151هـ) وهشام بن محمّد بن السائب الكلبي (ت 204هـ)، ومحمّد بن عمر الواقدي (ت 207هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، وأحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ).

وتعد المرحلة الرابعة مرحلة توحيد التاريخ الإسلامي أو العالمي، إذ ظهرت المدوّنات الكبيرة الجامعة التي استوعبت تاريخ العرب قبل الإسلام وتأريخ الإسلام بأكمله ورتبت أحداثه في هذه المصنفات، وأشهر مؤرّخي هذه المرحلة: أبو حنيفة الدينوري (ت 281هـ) وأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت 292هـ) ومحمّد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، والمسعودي (ت 346هـ).

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب هؤلاء الكتاب هم من الإخباريين الذي نوهنا عنهم سابقاً، إذ كانت كتبهم مقصورة على ذكر الخلفاء والوزراء والقادة، أي أنها كتب أخبار.

أهمية الوثيقة في دراسة التاريخ

(Importance of The Document in The Study of History)

يقصد بالوثيقة الكتابات والمدونات بمختلف أنواعها سواءً كتبت على الحجارة أو الطين كالكتابات الصورية والمسمارية أو الكتابات على أوراق

البردي القديمة كالهيروغليفية وكل الكتابات اللاحقة التي سجلت أفكار الإنسان ووثقتها على الجلد والورق، وعرفت تلك الجهود فيما بعد بعلم الوراقة أو بعلم الوثائق.

إن التاريخ يتم بالوثائق، وتعد الوثائق من أهم مصادر دراسة التأريخ والحضارة، وتعرف الوثيقة بكونها مصدر كل خبر، وهي حجة وشاهد على وقوع الحدث، لكونها منبعاً مادياً يرد فيه الكثير من المعلومات الأصلية والأساسية، وتجدر الإشارة إلى أن أهمية الوثيقة تتأتى من كونها الوسيلة التي تطلعنا على الماضي، والأداة التي يعمل بها المؤرخ، والحجة على أن التاريخ علم، فالكشف عن الوثائق يعني معرفة الحقيقة التاريخية.

قواعد استعمال الوثيقة (Rules for using the document):

يجب مراعاة قواعد لاستعمال الوثيقة، وأهمها:

1. تصنيف الوثيقة عن طريق الاستعانة بالعلوم المساعدة كـ(الفيلولوجيا :علم اللغة) و(البال يوغرافيا: علم قراءة النصوص القديمة) و(الأيكرافيا: علم النقوش)، وهكذا نجد من الضروري أن يكون المؤرخ له معرفة بالعلوم المتصلة بالتاريخ.
2. إخضاع الوثيقة للنقد الخارجي، ويقصد بها التحقق من صدق الوثيقة أي: هل الوثيقة صحيحة؟ وما مصدر الوثيقة؟ ومن مؤلفها؟.
3. إجراء تصنيف وترتيب منهجي للمعلومات التي تتناولها الوثيقة.

4. إخضاع الوثيقة للنقد الداخلي، أي استخراج الحقائق التاريخية عن طريق التحليل الاستقرائي لمضمون الوثيقة.

والمؤرخ يحاول من خلال الوثائق الوصول إلى حقيقة ما حصل في الماضي، ويقوم بإعادة بناء الأحداث والوقائع من منظوره الخاص، فالتاريخ ما هو إلا عملية بناء تتم من خلال: جمع الوثائق أولاً، ثم تحليلها، ثم تفسير وتأويل المعلومات الواردة في الوثيقة، عن طريق توزيعها وتنظيمها وترتيبها وفرز الملائم من غير الملائم، ثم تكتب المعلومات التي وردت في الوثيقة بالأسلوب الذي المناسب.

ويحتاج علم التاريخ فضلاً عن الوثائق المكتوبة إلى براعة المؤرخ وعبقريته ومدى اطلاعه وثقافته ليستفيد الفائدة المثلى من الوثيقة التاريخية وليسد ثغرات التاريخ التي لا يجدها في الوثيقة التاريخية.

مميزات الوثيقة (Features document):

إن وثائق كل عصر لها ميزات خاصة يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. عصور ما قبل التأريخ تميزت بغياب الوثائق المكتوبة لعدم اكتشاف الكتابة بعد.
2. العصور الوسطى تميزت وثاقها بأنها كتبت تحت تأثير الخلافات السياسية والمذهبية أو أنها كتبت بدافع الكراهية والتعصب،

وهكذا نجد صعوبة في التعامل مع هذه الوثائق لأنها محفوفة بالمخاطر.

3. العصور الحديثة تميزت وثائقها بالكثرة، لذا فهي تحتاج إلى التدقيق والتمحيص العميق.

ولعل أبرز الاختلافات بين المدارس التاريخية الحديثة تكمن في طريقة استقراء أحداث الوثيقة وفي كيفية بناء هذه الأحداث، ويمكن ملاحظة ذلك في طبيعة التساؤلات التي تطرحها كل مدرسة في ماهية الوثيقة وفيما ورد فيها، أي المؤرخ يحاول الوصول من خلال الوثيقة إلى ما حصل في الماضي ويقوم بإعادة بناء الأحداث والوقائع وفق منظوره الخاص.

صعوبات التعامل مع الوثيقة

(The difficulties of dealing with document)

تواجه الباحث في التأريخ بعض الصعوبات في التعامل مع الوثيقة، ومنها:

1. صعوبة التعامل مع وثائق القرون الوسطى لأن معظمها طمست تحت تأثير حزازات سياسية أو خلافات مذهبية أو بدافع الكراهية والتعصب، فلم تصلنا منها إلا القلة القليلة التي تم نسخها عن الأصل، وبالتالي فالوثائق نادرة.

2. كثرة وثائق التاريخ المعاصر، وهذه الوثائق تحتاج إلى تدقيق وتمحيص عميقين.

3. تنوع الوثائق المعاصرة كوسائل الإعلام المرئية والسمعية والمكتوبة، وهذا النوع من الوثائق حول المؤرخ إلى مجرد صحافي متتور من الدرجة الثانية.

العلوم والمهارات المساعدة لعلم التأريخ

(Sciences and Skills Assistance to The Historiography)

لما كان علم التأريخ يختص بدراسة فعاليات الإنسان بكل أشكالها، سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو فكرية أو قانونية أو عسكرية، لذا فإن الدارس والباحث في التأريخ لابد وأن يكون له إلمام ومعرفة بعلوم أخرى تتعلق بعلم التأريخ، فضلاً عن ضرورة تمتع الباحث في مجال التأريخ بالأدوات والمهارات الأساسية التي تُمَكّن الباحث من الإلمام بمتطلبات البحث الذي يروم دراسته.

كما يطلق على هذه العلوم أيضاً اسم العلوم المساعدة أو العلوم الموصلة أو الساندة للباحث في التاريخ، وتقسم العلوم المساعدة لعلم التأريخ على قسمين، يتعلق القسم الأول بالعلوم التي تهتم بدراسة نشاط الإنسان وترتبط هذه العلوم بعلاقة وثيقة بدراسة التاريخ، فيما يتعلق القسم الثاني بالمهارات والأدوات الأساسية اللازم توافرها في الباحث وهي عموماً ليست علوم بالمعنى الاصطلاحي بل، وهي على النحو التالي:

- **عِلْم الآثار (Archaeology):** يُعْنَى هذا العلم بدراسة مخلفات الإنسان التي تركها عبر الحقب الزمنية المختلفة، وهي تشمل الأبنية والأدوات والفخاريات والأعمال الفنية والملابس، ويهيئ الآثاريون المادة التي يحتاجها المؤرخ في إثبات الحقائق التأريخية أو تفسيرها عن طريق عمليات التنقيب في المواقع الآثارية، كما يقع على عاتق الآثاريين ترجمة النصوص القديمة ومساعدة المؤرخين في تحليل تلك النصوص وتفسيرها.

- **اللغات (Languages):** لابد للباحث من الإلمام إلى حدٍ ما باللغات الأصلية التي دونت بها مصادر الخاصة بالبحث، إذ أن الترجمة لا تفي أحياناً بالحاجة الحقيقية للباحث، لاسيما وأن عملية اللجوء إلى المترجم متعبة وغير مجدية بشكل كامل، إننا نعني هنا اللغات الحية التي ما زالت متداولة وأغلب المصادر مكتوبة فيها، فمثلاً البحث الذي يبحث في تاريخ وحضارة اليونان يحتاج لمعرفة اللغة اللاتينية، والذي يبحث في تاريخ وحضارة بلاد فارس يحتاج للغة الفارسية والذي يبحث في تاريخ وحضارة العثمانيون يحتاج اللغة التركية وهكذا، وتزداد أهمية معرفة اللغات الحديثة لتنوع الموضوعات والبلدان التي تتعلق بموضوع البحث، بالباحث الذي يكتب عن تأريخ العراق في النصف الأول من القرن العشرين لابد أن يجيد اللغة الإنكليزية فضلاً عن العربية لأن أغلب الوثائق التي

تخص العراق خلال هذه الحقبة مكتوبة باللغة الإنكليزية، أما الذي يكتب عن بلاد لبنان خلال نفس الحقبة فيحتاج إلى إلمام باللغة الفرنسية بدرجة أولى تليها اللغة الإنكليزية فضلاً عن اللغة العربية، والذي يكتب في ليبيا يحتاج إلى معرفة باللغة الإيطالية، وهكذا.

❖ **فقه اللغة (Philology)**: يحتاج الباحث إلى إطلاع على فقه اللغة ومعاني الألفاظ المستخدمة في النصوص، وتزداد الحاجة إلى هذا الجانب كلما كانت المدة المراد بحثها بعيدة زماناً، إذ أن جهل الباحث بمعاني الألفاظ المستخدمة خلال مدة البحث توقعه في مشاكل عديدة أهمها سوء فهم أو تفسير للألفاظ والمعاني المتداولة خلال تلك الحقبة، ولابد من الإشارة إلى أن اللغة مثلها مثل الكائن الحي تنمو وتتطور وتتغير مع تغير الزمان والمكان، فضلاً عن حالة الاختلاط الذي يحصل بين الثقافات المتعددة، لذا نرى يتغير معناه أو دلالته مع تقادم الزمن أو مع تغير المكان، وهذا يعني وجوب مراعاة الزمن والمكان الذي كتبته به المعلومة المستخدمة، فكلمة (الاستعمار) التي كانت تعني في العصور القديمة والوسطى تعمير الأرض من الخراب الذي لحق بها أصبحت تعني في العصر الحديث الاحتلال والسيطرة على أراض الغير.

- ❖ **علم قراءة الخطوط القديمة (Science to Read The Old Lines)**: ومع أن اللغات الميتة القديمة والتي كتبت بها اللغات الميتة لها قارئين مختصين بهذه اللغات، إلا أن على الباحث معرفة قراءة الخطوط القديمة، وأغلب أنواع هذه الخطوط مختص بحضارات الشرق الأدنى القديم، كالخط المسماري بلغاته المختلفة التي كتبت به، والخط الهيروغليفي، والخط المسند، والخط الآرامي.
- ❖ **علم الإنسان (Anthropology)**: وهذا العلم يهتم بذات الإنسان وطبيعته وبالتالي إرهاصات حركته، وعلم الإنسان ينقسم على أربعة فروع منفصلة هي: (علم الانسان الطبيعي) الذي يدرس التطور البيولوجي للإنسان وتطور السلالات البشرية، و(علم الآثار) يحاول كشف طبيعة وثقافات إنسان في العصور القديمة، أما (علم اللغات الأنثروبولوجي) فيتعلق بتحليل الثقافات الشفهية والمدونة، في حين يدرس (علم الإنسان الثقافي) التطور الثقافي المعاصر للبلدان والقبائل البدائية والشخصيات والعلاقات التي تربط ما بين البشر، وهكذا نجد أن الباحث في مجال التأريخ لا غنى له عن علم الإنسان في دراسته للتطور الثقافي للإنسان عبر مراحل التأريخ المختلفة.
- ❖ **علم النفس (Psychology)**: وتؤدي العوامل النفسية أثر مهم في التأريخ، إذ تدخل في تفسير بعض التصرفات الإنسانية، ولما كان

التأريخ يدرس أفعال الإنسان، وهذه الإنسان له نفس بشرية تتأثر وتؤثر لذا كان لزاماً على المؤرخ أن يكون له دراية بعلم النفس كي تكون تفسيراته وتحليلاته أقرب إلى الحقيقة.

❖ **علم الوثائق (Science of The Documents)**: وضحناه في مبحث سابق.

❖ **علم النميات (Numismatics)**: ويسمى أيضاً علم المسكوكات، ويقصد بها العملات النقدية وهي من فلوس ودراهم ودنانير، ضربت من النحاس أو الفضة أو الذهب، وهي تفيدنا في تعيين التاريخ الحقيقي لعدة حوادث سياسية، ويستنتج منها أمور كثيرة منها: التسلسل الزمني للملوك والحكام القويين وألقابهم وتاريخ حكمهم، والوضع السياسي للدولة فيما إذا كانت مستقلة أو تابعة لحكم آخر، واتساع نفوذ الدولة أو تقلصها، والحالة الاقتصادية، والاتصال الحضاري مع الدول لاسيما العلاقات التجارية والطرق والمحطات التجارية المهمة، فضلاً عن إعطاء فكرة عن تطور الفن العربي القديم.

❖ **علم الأختام (Science Stamps)**: تعد الأختام واحد من مصادر دراسة التأريخ، إذ تمثل وثائق تتعلق بالمكاتبات الرسمية للدولة، والأختام مختلفة الأشكال، ومرت بمراحل تطور مختلفة بدأً من الأختام الأسطوانية ثم المنبسطة، كما تطورت المواد المصنوعة منها

كالحجر والمعدن والمطاط والخشب، والأختام تفيد الباحث في التثبت من صحة المراسلات التي يتعامل معها، كما تحمل الأختام لاسيما أختام العالم القديم الكثير من المشاهد التأريخية التي تفيد في دراسة التأريخ، وتحمل الأختام علامات مميزة كالكتابات والمشاهد الملوكية أو التي ترمز للدولة، وتوضح هذه المشاهد الأزياء التي كان يرتديها الملوك أو القادة أو النبلاء أو الجنود أو الجيش.

❖ **علم الجغرافيا (Geography Science)**: يتفق العلماء على الصلة الوثيق والقديمة التي تربط بين الجغرافيا والتأريخ، إذ أنهما مترابطان ترابطاً وثيقاً، فالجغرافيا ما هي إلا وثيقة تأريخية لابد للمؤرخ من أن يعرف ما تنطوي عليها، فهي تحدد الأماكن التي تقع عليها الأحداث وأحوالها وملابساتها، لأن المعرفة الجغرافية تساعد على تعيين الطرق التي يسلكها الإنسان وتحديد مناطق تجمعه وسكناه بل تؤثر في سير الحوادث وفي بعض الأحيان تغيير نتائجها، وهكذا نرى أن التأريخ من دون الجغرافيا متشرد بلا وطن، والجغرافيا بدون تأريخ جثة بلا حراك، وهذا يعني الترابط الوثيق والأكيد بين بين الزمان والمكان، فالأرض هي المسرح الذى وقعت عليه حوادث التاريخ، وهي المكون الثاني في تشكيل التأريخ مع الإنسان والزمان، وللجغرافية بفروعها الاقتصادية والسياسية

والبشرية والإنتاج أثر في توجيه التأريخ من خلال تأثيرها في حركة البشر، لذا لابد للباحث في التأريخ أن يكون له إلمام بجغرافية المنطقة التي يريد دراستها ويعرف الظروف البيئية المحيطة بالحدث وأثر الظواهر الجغرافية في توجيه ذلك، فالباحث الذي يكتب في تأريخ الشرق الأدنى القديم يجد بوضوح أثر الموقع الجغرافي والطبيعة الجغرافية في تاريخ بلاد النهرين ومصر وبلاد سوريا، وبراعة عرب جنوب شبه جزيرة العرب في التجارة الدولية بسبب معرفتهم بسر الرياح الموسمية، وهكذا.

- **علم الجغرافيا التأريخية (The Historical of Geography Science)**: سنأتي على تفصيله في مبحث لاحق.
- **علم السياسة (Political Science)**: يعنى هذا العلم بفعاليات الإنسان الاجتماعية التي تقوده إلى نمط معين من السياسة التي يتم الاتفاق عليها أو التي تفرض بالقوة أو بوسائل الضغط الأخرى، ويحاول علم السياسة أن يبين سبل الحصول على القوة أو السلطة في المجتمع أو في الدولة وتأثيرها على التأريخ، كما يحاول هذا العلم رسم صورة اقرب إلى الواقع عن طبيعة العلاقة التي تربط بين القوى الاجتماعية بعضها ببعض وعلاقاتها بالسلطة الحاكمة، أي أنها تحاول رسم دواعي السياسة العامة التي تنتهجها الدولة وعلاقتها بالمجتمع، وتجدر الإشارة إلى أن التأريخ يبدأ من حيث تنتهي

السياسة، وبهذا يحل المؤرخ محل السياسي لكي يفهم الحدث ودوافعه ونتائجه، أي أن السياسي ما دام قائماً في منصبه فلا يمكن دراسته تاريخياً، وعند زوال سلطانه وغلق ملفاته يصبح من الممكن دراسته تاريخياً.

❖ **علم الاقتصاد (Economic Science)**: وهو من العلوم المهمة التي لها تأثير في حركة التأريخ، إذ أن الاقتصاد بأشكاله المختلفة له دور حاسم في قوة أو ضعف الدولة وشكل الحكومة التي تتشكل ومدى قوة الدولة فضلاً عن تأثير الدولة في المحيط القريب أو البعيد، كما أن توزيع الثروات بين الطبقات ووسائل الإنتاج ونوعه لها تأثير في الطبقة الحاكمة وأجهزتها وقوانينها، وهناك مدرسة تربط حركة التأريخ بالاقتصاد، وترى هذه المدرسة أن تاريخ البشرية كله مرتبط بالبحث عن طعام، وبمعنى آخر هناك من يرى أن الاقتصاد يُعَدُّ المحرك الرئيس للتأريخ، لأن الاقتصاد يرتبط بحركة الانسان ومدى قوته وسعة طموحاته أو انحسارها، وبالتالي ينعكس على الفئة التي تتحكم بسياسة البلد أو المجموعة.

❖ **علم الاجتماع (Sociology)**: وهو من أوثق العلوم صلة بعلم التأريخ، إذ لابد للمؤرخ من الوقوف على طبيعة المجتمع الذي يشكل جزءً من بحثه كي يفهم دوافع وإرهاصات الأحداث التاريخية، وعلم الاجتماع شأنه شأن باقي العلوم الإنسان يرتبط بدراسة الأفعال

والعلاقات الإنسانية، ولما كان التأريخ وليد المجتمعات بمختلف أشكالها وتكويناتها فلابد أن يكون الباحث في التأريخ على دراية بعلم الاجتماع، فالمجتمعات تأثر الأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية، والمؤرخين لابد أن يكون لهم دراية في الطبقات الاجتماعية ومكانتها والتنافس الطبقي وآثاره في الدول التي تعيش فيها، وعلم الاجتماع يصوغ القوانين التي تنظم العلاقات بين الناس في المجتمع الواحد.

- **علم السكان (Demography)**: ويرتبط هذا العلم بعلم الاجتماع ويُعَدْ أحد فروعه، ويتناول هذا العلم دراسة تكوينات الشعوب وأحجامها وتوزيعها الجغرافي والتغييرات التي تطرأ على تلك المجتمعات، لذا فهو الآخر يعتبر جزء من المؤثرات المهمة في علم التأريخ.

- **الأدب (Literature)**: لما كان الأدب مرآة العصر والمعبر عن أفكار الإنسان وميوله وعواطفه، لذا يعد الأدب واحداً من العلوم المهمة التي ترفد علم التأريخ بنواحي مختلفة من حياة الإنسان الواقعية مما لا يرد في المصادر التأريخية، فالدارس لتأريخ العرب القديم قد لا يجد الكثير من المصادر التي توضح حقيقة أحداث تلك الحقبة، في حين يرسم الشعر صورة لوقائع وحوادث التاريخ التي مَرَّ بها العرب قبل الإسلام، ومع أن العواطف والميول تدخل في

كتابة القصيدة وتبتعد بها أحياناً عن الواقع، إلا أنها مع ذلك تسجل بوضوح انفعال عامة الناس.

- **علم التقويم (Calendar Science)**: وهو من أهم العلوم المساعدة لعلم التأريخ، إذ أن التأريخ يقوم على أساس التقويم، وهو ضروري لتحديد الفترات الزمنية، ويتم التقويم على أساليب متنوعة، وقد ابتدأ الإنسان يؤرخ بالحوادث المهمة كتتويج الملك أو موته، ثم أرخوا بسني حكم الحكام أو الملوك، أو بحصول الظواهر الطبيعية كالكسوف، ثم اتخذت بعض الأحداث الثابتة أساساً للتقويم وأهمها ميلاد السيد المسيح وهجرة النبي محمد ﷺ، ومعرفة الحدود الفاصلة للتأريخ ضروري للمؤرخ في توثيق مدة حدوث الحدث التأريخي وترابطه.

- **التحقيب التأريخي (Historical Eras)**: كما أن على المؤرخ معرفة التحقيب التأريخي، ويقصد به الحقب التأريخية التي مرت بها الإنسانية، والفاصل بين حقبة وأخرى حدث مهم غيَّرَ شكل المنطقة التي ظهر فيها، والتأريخ مقسم على الحقب الآتية: حقبة التأريخ القديم وتبدأ من خلق البشرية وتنتهي بمدد زمنية متباينة بحسب التطور الحضاري لكل منطقة، ففي الشرق الأدنى القديم (الشرق الأوسط حالياً) تنتهي حقبة التأريخ القديم مع ظهور الإسلام، إذ بظهور الإسلام زالت امبراطوريات العالم القديم وظهرت دولة

الإسلام، وتنتهي حقبة التأريخ القديم في أوربا بسقوط روما في عام 476م، وفي قارة أمريكا بدخول الأوربيين إليها في القرن الخامس عشر الميلادي وهكذا، أما حقبة التأريخ الوسيط فهي تلي حقبة التأريخ القديم وتنتهي بسقوط القسطنطينية على يد العثمانيين في عام 1453م لتبدأ حقبة التأريخ الحديث، ويعد التأريخ الإسلامي من مبعث الرسول وحتى ظهور الدولة العثمانية موازياً لحقبة التأريخ الوسيط في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وتنتهي حقبة التأريخ الحديث مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتستمر حقبة التأريخ المعاصر التي أعقبت حقبة التأريخ الحديث، وسميت لأن الذين عاصروا أحداث هذه الحقبة مازالوا أحياءً.

مصطلحات التأريخ (Terms of History):

أولاً: الحضارة Civilization:

جاء في معاجم اللغة العربية أن الحضارة بالفتح تعني الإقامة في الحضر، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، وكانت الحضارة لغة تعني الإقامة في الحضر خلافاً للبادية، قال القطامي: من تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

والحضر والحضرة والحاضرة والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حَضَّروا الأمصار، أي أنشئوا المستقرات والمساكن، والحاضرة والحاضر: الحي العظيم أو القوم.

إذاً كلمة الحضارة مشتقة من **الحَضَر**، أي **الإقامة في الحضر**، وهي مرحلة متطورة أرقى في حياة البشر حيث يخرج من حالة البداوة والدخول في حالة الحضارة، ويمكن القول أن الحضارة هي محاولات الإنسان الاستكشاف والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى حياة أفضل، وتعرف الحضارة أيضاً بأنها جملة مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، فنقول مثلاً: حضارة بلاد ما بين النهرين وحضارة مصر وحضارة اليونان والحضارة العربية الإسلامية.

ويمكن أن نعرف الحضارة على إنها كل ما ينتجه البشر من خلال تعامله مع الطبيعة أو يطوره من خلال تعامله مع المحيط للوصول إلى مرحلة أرقى شريطة أن تكون فيها خدمة للإنسانية، وهي بذلك حصيلة جهود الأمم كلها، والكلمة الأجنبية التي تقابل **الحضارة** هي **Civilization** المشتقة من **المدنية Civilize**، أو مباشرة من ساكن **المدينة Civic**.

ويعد ابن خلدون (ت 808هـ) أول من استعمل مصطلح الحضارة بالمعنى الذي أشار إليه التعريف المذكور آنفاً، إذ يجعل البداوة مرحلة سابقة للحضارة، إذ بانتقال الناس من البداوة إلى الحضارة ينتقلون من الشظف إلى

الترف والخصب، ويذكر ابن خلدون أن الحضارة "إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله".

وقيمة كل أمة في ميزان بناء الحضارة يساوي ما قدمته مطروحاً منه ما أخذته تطبيقاً للقاعدة:

قيمة كل أمة في ميزان بناء الحضارة = ما أعطت وقدمت – ما أخذت واقتبست.

الساميون والعرب (Semites and Arabs):

الساميون (نسبة إلى سام بن نوح) مصطلح أطلق على معظم الأقوام التي تسكن الشرق الأوسط، إذ تتميز هذه الأقوام بمجموعة من الصفات المشتركة أهمها القرابة بين اللغة والتي أطلق عليها (مجموعة اللغات السامية)، ويعتقد الباحثون أنها ترجع إلى أصل لغوي واحد، إذ تتشابه في أصول أفعالها وأزمانها وفي كثير من أصول الكلمات والضمائر والأعداد، وقسمها علماء اللغات إلى شمالية وجنوبية، وقسموا الشمالية إلى شرقية وغربية، أما الشرقية فاللغة الأكدية (البابلية والآشورية)، وأما الغربية فاللغة الأوغاريتية (لغة نقوش رأس شمرا) والكنعانية (الفينيقية والعبرية والمؤابية)، والآرامية، وقسموا الجنوبية إلى عربية شمالية وهي الفصحى، وعربية جنوبية وهي لغة أهل اليمن

القديم والحبشة، هذا فضلا عن تميز الساميين بصفات أخرى كالدين والفردية والخيال الخصب والعصبية والحماس عن باقي الشعوب المجاورة لهم[1].

نظريات نشوء الحضارة (Theories of Rise Civilization):

وقد وضع الباحثون في التراث العالمي عدة نظريات تحاول أن تحدد سبب ظهور أو نشوء الحضارة في منطقة دون أو قبل سواها، وهذه النظريات هي:

1) **نظرية البيئة (Theory of The Environment)**: ويشترط فيها توفر المناخ المعتدل والتربة الخصبة والمياه العذبة، ويقول أصحاب هذه النظرية أن بتوفر عناصر بيئية ملائمة ينتج الإنسان الحضارة، وهي بذلك تأكيد دور عامل البيئة في نشوء الحضارة، وقد ظهرت هذه النظرية عند مفكري اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وكان لتميز اليونان بتعدد ثقافاتهم وقلة تنوع شعوبهم في تلك المدة أثر في تبني هذه النظرية، فربط مفكرو اليونان تنوع الثقافات بالعامل البيئي، وقد تأثر ابن خلدون في مقدمته بنظرية البيئة وأورد الكثير من الأحكام المبنية على هذه النظرية، كأثر البيئة على لون البشرة والعيون والشعر وعلى البدن في لونه صفاءً وانكسافاً وغلظة ولطافة ورقة وغير ذلك، كما ميز بين اثر الأقاليم على حياة الناس، وقال إن

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، 1973م، 1/76-77؛ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية، 1971م، ص ص28-30.

اعتدال مناخ الإقليم يجعل حياة الناس فيها معتدلة فأهله اعدل أجساما وأخلاقا على عكس أهل الأقاليم المنحرفة فالدين عندهم مجهول والعلم مفقود وأحوالهم قريبة من أحوال البهائم بأمزجتهم وأخلاقهم، وهذه النظرية مع أنها منطقية إلا أن ظروف بيئية متشابهة في مواطن مختلفة لم تنتج نفس المستوى من الرقي الحضاري ولا بأزمان متقاربة، فضلاً عن ان أثر البيئة على الإنسان كان أوضح في الماضي منه في الحاضر إذ تمكن الإنسان بقدرته من تسخير البيئة لأغراضه ومصالحه.

2) **نظرية التحدي والاستجابة (Theory of Challenge and Response)**: وتقول هذه النظرية ان بوجود تحديات تواجه الإنسان فانه يستجيب لهذا التحدي باتخاذ الإجراءات المناسبة للتغلب عليه، وقد ربطها توينبي بنظرية البيئة، إذ قد توجد البيئة وتنشا حضارة وتوجد بيئة مماثلة ولا تنشا حضارة وسبب ذلك عند توينبي وجود التحدي والاستجابة في الحالة الأولى وعدم وجودهما في الحالة الثانية، وقال إن الأحوال الصعبة المعاكسة هي التي تنتج حضارة وليست الأحوال المواتية، ومثلها بـ: الحضارة السومرية في دلتا دجلة والفرات، والحضارة المصرية القديمة في دلتا نهر النيل، وحضارة الصين في وادي النهر الأصفر (هوانغ هو)، حيث تحدت هذه الحضارات المستنقعات والغابات وعملوا على تجفيفها واستصلاحها

للزراعة، والحضارة الإيجية المينوسية كان أصلها تحدي السكان للبحر، ويقول توينبي أن العالم كان يسوده أحوال مناخية تمثلت بالعصور الجليدية إذ كانت الصحراء الأفريقية الكبرى وصحراء شبه جزيرة العرب تنعم بهطول الأمطار الغزيرة فغطتها المزارع والنباتات، وبعد انتهاء العصور الجليدية ودخول الأرض في الفترة الدافئة الرابعة تغيرت الأحوال المناخية وارتفعت حرارة الأرض، وأصبحت الصحراء الأفريقية الكبرى وصحراء شبه جزيرة العرب تعاني حالة من الجفاف الشديد بعد توقف هطول الأمطار، فتعرض الإنسان في هذه المنطقة نتيجة لذلك إلى تحد كانت استجابة الإنسان في هذه المنطقة لهذا التحدي مختلفة، فمنهم من هاجر إلى منطقة أخرى تسود فيها الحياة المعيشية نفسها التي كانت سائدة في الوطن الأصلي، فكانت استجابتهم خلاقة، وهؤلاء هم من ينتج الحضارة برأي توينبي، فقد واجهوا تحدياً مضاعفاً شحذ هممهم وأدى الى نشوء الحضارة على أيديهم، أما الذين آثروا البقاء في الوطن على الهجرة واكتفوا بما تجود به أرضهم فقد انعدم عندهم اثر التحدي عليهم ولم تحدث عندهم الاستجابة فهم بنظر توينبي ينحطون في رقيهم الحضاري وهم عرضة للانقراض. ويرى توينبي أن التحدي قد يكون مادياً أو فكرياً.

3) **نظرية الجنس أو العرق (Theory of Sex or Ethnicity)**: تقول هذه النظرية بتفوق جنس أو عرق بصفات مميزة وموروثة دون غيره يكون قادر على إنشاء الحضارة، وترى هذه النظرية بأن التفوق مسألة ترتبط باللون، وتضع (السلالة النوردية) على منصة الشرف، وهي السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهب والرأس الطويل، ثم تطورت هذه النظرية في القرن التاسع عشر الميلادي إلى أن المتكلمين باللغة الآرية (الهندو أوروبية) هم أقدر من غيرهم على إنتاج الحضارة، وأن الفضل يرجع إليهم في جميع ما حققت الحضارة البشرية من أعمال وتقدم عبر تاريخ البشرية الطويل، ويبدو انه في ظروف التقدم الصناعي الذي حققه الأوروبيون وقيام حركة الاستعمار الأوروبي أثر في نظرية الجنس، إذ لاقت مناخاً طيباً للانتشار والقبول ليس بين الأوربيين حسب بل بين كل من ينتمي إلى هذا الجنس، كما نلاحظ أن اليابانيين أيضاً انجرفوا إلى هذه النظرية إلا أنهم يستخدمون علامة بدنية مختلفة للدلالة على التفوق، تقوم على اعتبار خلو الجسم من الشعر وجعل الإنسان الأمرد أعلى من غيره باعتباره ابعد منزلة من القرد خلافاً للإنسان المشعر الذي يعد اقرب منزلة من القرد، ونظرية الجنس أو العرق نقضت تماما، فانتساب اللغات إلى مجموعة لغوية واحدة لا يعني بالضرورة انتساب الناطقين بها بعضهم إلى بعض، فضلاً عن الحضارات الأولى ظهرت

عند كثير من الشعوب التي تنتمي إلى أجناس وألوان مختلفة كالسومريين والأكديين والمصريين والهنود وغيرهم، كما أنه لا يوجد دليل على نقاوة أي جنس بشري ، وأخيراً هذه النظرية عنصرية ، وقد رفضها (توينبي) أيضاً وقال: "لا يوجد عرق متفوق بدأت الحضارة على يده".؟!

4) **نظرية تعاقب الأجيال والدورات التاريخية (Theory of Succession of Generations and Historical Cycles)**: وقد قال بها كل من ابن خلدون والفيلسوف الايطالي جان باتيستا فيكو (1668-1744م)، وأصحاب هذه النظرية يشبهون الحضارات بحياة الإنسان، **ويرى ابن خلدون أن الدولة تمر في خمسة أطوار:**

أ - **طور الفتح والاستيلاء واكتساب المجد.**

ب - **طور استبداد صاحب الدولة على قومه**، وكبح جماحهم عن التطاول.

ت - **طور الفراغ والدعة**، فيميل صاحب الدولة إلى تحصيل المال، وتخليد ذكره بالآثار مع تمجيد شخصه.

ث - **طور الإسراف والتبذير**، حيث يصبح صاحب الدولة وبطانته أسير الملذات والشهوات، فتصبح الدولة في حالة هرم.

ج - **طور الأفول.**

أما **فيكو فيرى أن الدولة تمر بأربع مراحل وهي:**

1. مرحلة **عصر الآلهة** حيث يعتقد الناس أن الآلهة تدبر كل شيء.
2. مرحلة **الدور البطولي** حيث تظهر دور الشخصيات المهمة القوية.
3. **دور الحقيقة** حيث تسود المساواة الطبيعية بين الناس وتسود القوانين التي يتساوى فيها الجميع.
4. **مرحلة الانتكاس** إذ تعود إلى بربرية جديدة لا تلبث أن تنبثق عنها حضارة جديدة تعود فتنهار وتعود البشرية إلى البربرية وهكذا دواليك.

أما **اشبنغلر** (1880-1936م) وهو فيلسوف ألماني فيرى أن الحضارات كائنات تاريخية حية شأنها شأن الكائنات العضوية الحية، وتمر بنمط واحد ودورة متشابهة، وقال أن الحضارة تمر **بمولد وطفولة وشباب ونضج وشيخوخة**، ويصف ولادة الحضارات ونشوئها بقوله: "تولد الحضارات في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة وتنفصل عن الحالة الروحية الأولية للطفولة الإنسانية الأبدية، كما تنفصل الصورة عما ليس له صورة، وكما ينبثق الحد والفناء من اللا محدود والبقاء ... وتموت الحضارة حينما تكون الروح قد حققت جميع ما بها من إمكانات وعلى هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون ودول وعلوم ومن ثم تعود الحالة الروحية الأولية".

5) **النظرية المادية (Physical Theory)**: أصحاب هذه النظرية قالوا أن المادة تتطور بطبيعتها وأن تطوراً ذاتياً مستغنية عن عقل كلي يدبرها

منكرة بذلك وجود خالق لهذا الوجود، وكل شيء في الكون سائر في مسار التطور الطبيعي سواء أكانت موجودات مادية غير حيوية أو حيوية، والمجتمع جزء من هذا الوجود المادي ينطبق عليه ما ينطبق على الكل، فهو يتطور بشكل حتمي وبصورة تقدمية تصاعدية فجائية من الحالة الأدنى إلى الحالة الأفضل، والحضارة تتطور بصورة تدريجية، وإنما الإنسان يؤدي دوراً طبيعياً في تطوير هذه الحضارة، وتؤكد النظرية على أن الفكر هو انعكاس المادة على الدماغ وان المادة أصل الفكر في المجتمع، لذلك فان النظرية تعتبر شروط الحياة المادية في المجتمع أصل الحياة العقلية فيه: أفكاره ونظرياته وقوانينه وآراؤه وأوضاعه السياسية، وعندما تتغير شروط الحياة المادية في المجتمع، وهي متغيرة برأي النظرية حتما لوجود المتناقضات في المجتمع، تتغير الحياة العقلية فيه، والنظرية لا تقيم وزنا للوسط الجغرافي والكثافة السكانية في تكوين المجتمع وتغييره، وإنما تجعل الدور الرئيس لأسلوب الإنتاج، وأسلوب الإنتاج يتألف من القوى المنتجة المتمثلة بالناس وأدوات الإنتاج ومعارف الإنتاج، ويتألف من علاقات الإنتاج التي تظهر بين الناس أثناء سير الإنتاج، وتذكر النظرية ان التغيير يبدأ في أدوات الإنتاج، وتفرض ان الأدوات كانت قديماً السهام والحجارة ثم تغيرت إلى الأدوات المعدنية المحسنة كالمحاريث والأنوال وغيرها، ثم تغيرت إلى الطاحونة

والـورش الصـناعية، ثـم تغـيرت إلى الأدوات الكـبيرة الـتي تـدار بالكهرباء وغيرها من أشكال الطاقة، وتستنتج النظرية من هذه الفرضية التي طرحتها ان العلاقات بين الناس كانت تتغير في كل مرة كانت أدوات الإنتاج تتغير فيها ويتغير المجتمع تبعا لذلك، وان البشرية قد عرفت خمسة أنواع من المجتمعات أو الحضارات هي المشاعية الابتدائية ثم الرق ثم الإقطاع ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية حسب أدوات الإنتاج التي كانت في كل مرحلة.

عوامل نشوء الحضارة (Factors of Rise Civilization):

مما سبق من استعراض لنظريات نشوء الحضارة نستطيع أن نثبت العوامل التي أدت إلى نشوء الحضارة بما يلي:

1. **العوامل الجيولوجية**: حيث أن التربة الخصبة تستحث خطا الحضارة، أما الجليد والصحراء القاسية تعيق مسار الحضارة.
2. **العوامل الجغرافية**: ونعني هنا المناخ المناسب الذي يهيئ السبيل لنشوء الحضارة وازدهارها، أما المناطق ذات الطقس القاسي فهي تعيق التطور الحضاري أيضاً، كما أن مرور المسالك الصالحة للتنقل على بعض المدن جعلها تتطور أكثر لتحولها إلى طرق تجارية تنقل مع التجارة المال والنظم الحضارية المختلفة.
3. **العوامل الاقتصادية**: ونعني هنا توفر الأسباب المادية التي تدفع الإنسان إلى التطور والرقي في طبيعة معيشته، فانتقال الإنسان من

حياة البداوة والتنقل التي لا تحتاج إلى مستلزمات كثيرة إلى حياة الزراعة والاستقرار التي تتطلب منه توفير مستلزمات كثيرة بدأً من السكن وتطوير هذا السكن باستخدام مواد متنوعة للوصول إلى المواد الأفضل وبالطبع بما تيسره له بيئة المنطقة التي يسكنها، ثم إيجاد وتطوير الآلات التي تساعده في الزراعة، ثم مكان تخزين منتجاته الزراعية وآلية تخزين تتطور بمرور الزمن، وكذا الأمر بالنسبة للفائض من إنتاجه وطريقة مبادلته مع المنتج في أماكن أخرى ثم التخصص في الإنتاج، وصنع المواد المنزلية التي يحتاجها، وهكذا.

4. **العوامل النفسية**: ونقصد بها هنا حالة الاستقرار التي تتطلب أن يسود الناس نظام سياسي يدير الحياة بصورة منظمة، فضلاً عن ضرورة الاتفاق بين الناس على العقائد الرئيسة، وفي المثل الأعلى المنشود، لأن ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة توازن فيها بين نفع العمل وضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته، وهو كذلك يجعل حياة الإنسان أشرف وأخصب.

طرق اتصال الحضارات وانتقالها

(Methods of Communication and Transmission of Civilizations)

يتم الاتصال بين الحضارات ثم انتقالها عن الطرق التالية: الغزو أو الفتح أو الهجرة أو السياحة أو التجارة أو الجوار.

وفي حالات الغزو يمكن تمييز ثلاث حالات من انتقال الحضارة:

1. إذا كان الشعب المهاجم الذي ساد البلاد أقل حضارة من الشعب المغلوب، فتحصل فترة توقف في مسيرة الحضارة ثم تذوب حضارة القوة الغالبة وتسود حضارة القوة المغلوبة، مثل هجوم الهكسوس على مصر (1730–1580ق.م) وهجوم المغول التتر على بغداد (1258م–656هـ)، وهجوم الجرمان على أوربا في العصور الوسطى.

2. إذا كان الشعب الغازي أكثر تطوراً حضارياً، فإن حضارته ستغلب على حضارة الشعب المغلوب، مثال ذلك الفاتحين العرب المسلمين للأندلس.

3. أما إذا كان الشعبان الغالب والمغلوب على درجة متقاربة من الرقي الحضاري، يحصل تبادل حضاري بين الطرفين، مثال ذلك الرومان عندما حكموا بلاد اليونان، والصليبيون عندما وصلوا إلى بلاد الشام واطلعوا على الحضارة العربية الإسلامية.

وقد تنتقل الحضارة عن طريق طرف آخر، فالحضارة العربية الإسلامية انتقلت إلى أوربا عن طريق المدن الإيطالية المطلة على البحر المتوسط وصقلية ومدن فرنسا الجنوبية والأندلس.

وقد وضع ابن خلدون عوامل لأفول الحضارة منها:

1. **عوامل مادية**: كاتساع رقعة الملك، وعدم خضوع الأطراف النائية للسلطة المركزية.

2. **عوامل اقتصادية:** ويعني بها حالة الترف والدعة بعد فترة الاستقرار.
3. **عوامل اجتماعية:** فالمجتمع خاضع للتطور المحتوم، وللدول أعمار كأعمار الأفراد.

مظاهر الحضارة (Aspects of Civilization):

ويمكن إجمال المظاهر الحضارية بما يلي:

1. **المظهر السياسي:** ويبحث في هيكل الحكم، أي ونوع الحكومة (ملكية أم جمهورية)، دستورية أم مطلقة، والمؤسسات الإدارية والمحلية.
2. **المظهر الاقتصادي:** ويبحث في موارد الثروة ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي، وتبادل المنتجات.
3. **المظهر الاجتماعي:** ويبحث في تكون المجتمع ونظمه وحياة الأسرة، وطبقات المجتمع والآداب.
4. **المظهر الديني:** ويبحث في المعتقدات الدينية والعبادات، ونظرة الإنسان إلى الكون والحياة.
5. **المظهر الفكري:** ويبحث في النتاج الفكري من فلسفة وعلم وأدب.
6. **المظهر الفني:** ويبحث في الفن المعماري والنحت والرسم والموسيقى.

ثانياً: المدنية (Civilian):

المدنية مشتقة من السكن في المدن، فالمدنية هي قمة الهرم الاجتماعي والحضارة قاعدته، وهي تعني الابتعاد عن الجماعات الريفية التي تبتعد بانتقالها إلى المدينة عن جذورها، والتمدن يعني الرغبة في حياة أغنى وأرقى، وهي مرحلة أكثر تقدما من الحضارة، إذ تأتي بمعنى الإفادة من المكتسبات والإنجازات الحضرية، أي إنها الدخول في حالة الحضارة والتخلي عن بعض القيم القبلية التي تقيد الإنسان، يقول المؤرخ (ول ديورانت)[1] إن الحضارة تبدأ في كوخ الفلاح، ولكنها لا تزدهر إلا في المدن، وبهذا تكون المدنية التقدم العلمي والتكنولوجي والرفاهية والرقي الذي وصلت إليه المجتمعات.

ويمكن تعريف المدنية بأنها المقدرة على التمييز بين قيم الأشياء، والتزام هذه القيم في السلوك اليومي، فالرجل المتمدن لا تلتبس عليه الوسائل مع الغاية، ولا هو يضحي بالغاية في سبيل الوسيلة، فهو ذو قيم وذو خلق، أي أن المدنية ترتفع بالإنسان نحو الأخلاق بل وترتبط المدنية بالأخلاق، والأخلاق هي حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة.

ثالثاً: الثقافة (Culture):

الثقافة في اللغة العربية أساساً هي **الحذق والتمكن وسرعة الفهم**، وثقف الرمح أي قومّه وسواه، ويستعار بها للبشر فيكون الشخص مهذباً

(1) قصة الحضارة، ج1، ص5.

ومتعلماً ومتمكناً من العلوم والفنون والآداب، فالثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة، فكلما زاد نشاط الفرد ومطالعته واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه، وأصبح عنصراً بناءً في المجتمع، إذ أن الثقافة هي محصلة المعرفة المكتسبة من التجربة الإنسانية في الحياة بوجه عام، والتخصص حول الأمور النظرية وحقائق أكثر من كونها تجربة معممة، والمعرفة المحصلة فيها هي نتاج الاجتهاد الشخصي للإدراك والتعلم، والثقافة كذلك مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه.

ومصطلح الثقافة بمفهومه الأوسع يعني **طريقة الحياة** التي تميّز مجموعة بشرية عن أخرى، والثقافة تتناقل من جيل إلى آخر، كالمعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقوانين والأعراف والعادات المستحكمة لدى الناس كأعضاء في المجتمع، وبالتالي فإن مجموعة العادات والتقاليد السائدة في المجتمع تعني توجه أو نوع ثقافة المجتمع، وهذا يعني أن الثقافة ما هي إلا إرثاً وحصيلة مضاف إليها التجارب الجديدة، وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان، فقابلية التعلم مشتركة بين الإنسان والحيوانات، إلا أن التعلم لدي الحيوان يبقي تجربة آنية مستقلة لا علاقة لها بالتجارب السابقة والمقبلة على السواء.

وكثيراً ما يخلط بين **الثقافة والعلم**، وهذا خطأٌ شائع، ويمكن التمييز بينهما من خلال التفريق بين معنى المصطلحين، إذ أن **الثقافة** اصطلاحاً تعني

المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط كالتاريخ واللغة والفن والأدب والتفسير والفلسفة والحديث، في حين أن **العلم** اصطلاحاً يعني **المعرفة** التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج كعلم الفيزياء والكيمياء وسائر العلوم التجريبية، وهكذا نجد أن الفرق بين العلم والثقافة يكمن في كون العلم عالمي لا يختص بأمة دون أخرى، أما الثقافة فتكون خاصة تنسب للأمة التي أنتجتها أو تكون من خصوصياتها ومميزاتها، كالأدب وسير الأبطال وفلسفتها في الحياة، أو ثقافة عامة كأساليب التجارة والصناعة ونحو ذلك.

رابعاً: الجغرافيا التأريخية (Historical Geography):

علم الجغرافيا يعنى بدراسة العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية أي الأرض، وهو ينقسم على فرعين أساسيين هما الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية، وتؤثر البيئة الطبيعية في الإنسان الذي يعيش فيها، كما يؤثر الإنسان في بيئته الجغرافية.

تهتم الجغرافيا الطبيعية بدراسة البيئة الطبيعية لكوكب الأرض، وتتناول جميع الظواهر الجغرافية التي خلقها الله سبحانه وتعالى وليس للإنسان أي دور في نشأتها، وتختص بدراسة الأغلفة الأربعة للكرة الأرضية، وهى الغلاف الصخري، والغلاف الجوي، والغلاف المائي، والغلاف الحيوي.

أما الجغرافيا البشرية فتتناول دراسة كل ما ينتج عن علاقة الإنسان ببيئته وتفاعله معها، وتنقسم الجغرافيا البشرية إلى فروع متعددة مثل: جغرافية

السلالات والجغرافيا الاجتماعية وجغرافية المواصلات والمدن، والجغرافيا الاقتصادية، والجغرافيا التأريخية وغيرها.

والجغرافيا التاريخية هي فرع من الجغرافيا البشرية، إذ تعد المسرح الذي تقوم فيه وتقع عليه الحوادث التاريخية، وقد وردت عدة تعاريف للجغرافيا التأريخية، وأقرب التعاريف قبولاً يشير إلى أنها جغرافية الماضي التي تعرض تطور المكان خلال الزمان، وهي بذلك تعطي للباحث رؤية واضحة عن ديناميكية المكان على الرغم مما يبدو عليه من ثبات، إذ أن مظهر أي مدينة في الوقت الحاضر ما هو إلا حلقة في سلسلة متصلة ظهرت وتطورت عبر الحقب التأريخية، والإنسان بطبيعته وبما يملكه من مهارات تمكن من تذليل العقبات الجغرافية التي اعترضت مسيرته واستغل كل المقومات الجغرافية القابلة للتطويع من أجل الرقي في حياته سواء كانت على مستوى السكن أو المعيشة، لذا فالجغرافيا البشرية تحاول الكشف عن أنواع العمران وتوزيعه وتوزيع السكان فيها ونوع النشاط الاقتصادي.

والجغرافيا التأريخية تهتم بالربط بين البيئة والأحداث التي تأخذ دورها على المسرح الجغرافي، وهي تعتمد على الوثائق التأريخية في معرفة الظواهر الجغرافية، لذا فإن الجغرافيا التأريخية تدرس أي مرحلة من مراحل التأريخ ترتبط أحداثها بطريقة منظمة، ويعرف (روكسبي) الجغرافيا التأريخية على أنها الدراسة التحليلية أو النقدية لتطور الملائمة بين الإنسان والطبيعة، ويشير إلى أن ذلك يظهر في تأريخ محلات العمران أو استغلال الأرض أو العلاقات

التجارية والثقافية أو في تطور الوحدات السياسية والدول والعلاقة فيما بينها فضلاً عن دراسة النواحي الاقتصادية والسياسية لمنطقة ما خلال مرحلة تاريخية معينة، وتعرف الجغرافيا التأريخية أيضاً على أنها دراسة تطور العلاقة بين الإنسان والبيئة خلال الزمن.

خامساً: الاسرائيليات في التأريخ العربي

(Israeli Narrative in Arab History)

تعد المصادر العبرية والكثير من المصادر الدينية والتأريخية التي يستقي المؤرخون معلوماتهم منها مليئة بما يعرف بالإسرائيليات، ولأهمية الموضوع وخطورته ارتأينا أن نفرد مبحث يهتم بالإسرائيليات.

تعريف الإسرائيليات: لفظة الإسرائيليات مشتقة من مصطلح بني إسرائيل، وإسرائيل هو لقب لنبي الله يعقوب ﵇، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ﵇، وقد وردت لفظة إسرائيل في القرآن الكريم في 43 آية.

ويقصد بالإسرائيليات الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود أو النصارى، إلا أن المنقول عن اليهود هو أكثر من المنقول عن النصارى بكثير، وهو هنا يعني الأخبار التي أخذها الكتاب المسلمون عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أخذوا ذلك عنهم مشافهة أو من كتبهم، والغرض من نقلهم لهذه الأخبار هو للعبرة والاتعاظ مستندين على قول الرسول محمد (ﷺ): "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، مع أن الحديث نفسه قد يكون من

الإسـرائيليات، في علـم الحـديث تسـتخدم أيضـاً كلمـة إسـرائيليات لوصـف حـديث ضـعيف أو غـير موثـوق بـه، ويلاحـظ علـى الإسـرائيليات أنهـا غالبـاً مـا تكون ليس لها قصص مفسّرة في الكتاب المقدس.

والمصطلح المرادف لها في اللغة العبرية هو لفظة (ميراش Midrash) والتي تعني (يدرس)، وهذه اللفظة يقصد بها إيجاد معلومات أكثر أو تفسيرات حول الأحداث والقصص التي وردت عـن طريق شـخص في النصـوص اليهودية، وهـي غالباً ما تكون محرفة وغير صحيحة.

ولفظة إسـرائيل عبرية تشـير إلى معنـى (الغلبة علـى اللّـه) إذ أن النصـوص غير الصحيحة الـتي وردت في كتب بني إسـرائيل تـذكر مصـارعة يعقـوب مـع اللّـه ليلـة كاملة وتمكنـه مـن التغلـب عليـه عنـد الصـباح، إذ أن (إسـرا) تعـني (الغلبـة)، و(ئيل) تأتي بمعنـى القـدرة الكاملة، وهذا (لقب الإلـه)، وأطلـق لقب (إسرائيل) على الاصنام أيضاً، ويكون المعنـى الكـامل لها (الغالب علـى القـدرة الكاملة)، كمـا يـزعم الكتـاب اليهـود، ثـم أصـبح فيمـا بعـد لقـب يعقـوب بـن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام لأنه تصارع مع اللّه وتغلب عليه.

وتعمـم لفظـة الاسـرائيليات لـيس علـى الروايـات التاريخيـة المـأخوذة عـن المصـادر اليهوديـة حسـب، بـل تطلـق علـى كـل مـا دخـل إلى التفسـير والحـديث والتـأريخ مـن أسـاطير قديمـة أو أخبـار تأريخيـة سـواء كـان أصـل روايتهـا إلى مصـدر يهـودي أو نصـراني أو غيرهمـا مـن أعـداء الإسـلام الـذين وضـعوا هـذه

الروايات بسوء نية ليفسدوا بها عقائد المسلمين، إذ أن أغلب ما يروى من هذه الخرافات والاباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي.

مصادر الإسرائيليات (Sources of Israeli Narrative):

المصادر العبرية (Hebrew Sources):

وتشمل المصادر العبرية: التوراة والتلمود والتفاسير، ومع أنها حوت على الكثير من الزيف والدس (الإسرائيليات) بسبب موقف اليهود الواضح من العرب، إلا أنه لا بد من الرجوع إلى هذه المصادر للتعرف على ما كتبوه، والتوراة بالعبرية من (تورة أي الهدى والإرشاد)، وهو كتاب اليهود الأول وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار المتفرقة لأنبياء عاشوا في أزمنة مختلفة على مدى ألف سنة، كتب أكثرها في فلسطين والباقي كتب في وادي الفرات بعد ترحيل اليهود من قبل نبوخذنصر الثاني، ثم جمعت هذه الأسفار في كتاب واحد، وقد أشارت التوراة في كثير من أسفارها إلى القبائل والأماكن التي يسكنها العرب وعلاقاتهم السياسية والاقتصادية من اليهود لاسيما في الألف الأول قبل الميلاد، والمصدر العبري الثاني هو التلمود ويعني بالعبري (التعاليم أو الشرح والتفسير)، وهناك تلمودان أحدهما كتب في بابل (التلمود البابلي) في القرن 5 ق.م بعد ترحيل نبوخذنصر الثاني لليهود، والثاني كتب في فلسطين (التلمود الأورشليمي) في ما بين القرنين 3 و 5ق.م، ويحتوي التلمود على مجموعة من الشرائع والسنن أو التقاليد اليهودية التي دونها أحبار اليهود، وقد

وردت فيه إشارات إلى العرب، يضاف إلى ما تقدم التفاسير والشروح العبرية للتوراة والتلمود وأهمها تفسير يوسف بن متي (فلافيوس يوسفوس)(37-100م).

المصادر النصرانية (Christian Sources):

وفي مقدمتها الانجيل (العهد الجديد)، فضلاً عن الكتب التي كتبت عن تأريخ المسيحية ولعل أهمها كتبت باللغة السريانية، ومن أهمها ما كتبه (اوبسبيوس)(265-340م) الذي ألف عدة كتب عن تأريخ العرب العام، و(شمعون الأرشامي) (القرن 4م) عن حادثة نصارى نجران، و(ملالا) (491-478م)، وغيرهم الكثير.

لغة مصادر الإسرائيليات (Language of Israeli Narrative Sources):

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما لغة مصدر الإسرائيليات التي كان ينقل منها الرواة؟ هل كان باللغة العبرية أم باللغة العربية؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد أن ننوه إلى أن أول ترجمة عربية للكتاب المقدس صدرت في سنة 724م قام بترجمتها الأسقف (يوحنا) أسقف إشبيلية، ثم تلتها ترجمة أخرى للتوراة إلى اللغة العربية قام بها اليهودي (سعديا الفيومي) (892-942م) وشرحها ابراهام بن عزرا، وقدم اليهودي (موسى بن ميمون) (1135-1204م) تفسيراً عقلياً مسهباً للتوراة، وترجم (وهبة الله بن العال) في عام 1250م الكتاب المقدس من اللغة القبطية إلى اللغة العربية، إلا أن المتتبع للروايات الإخبارية التي حملت الكثير من الإسرائيليات وكتابات الكتاب

العرب المسلمون الأوائل لاسيما الطبري يجد أن لابد وأن كانت هناك على الأقل ترجمة عربية لبعض أسفار التوراة موجودة منذ عهد النبي ﷺ.

أنواع الأخبار المأخوذة عن أهل الكتاب

(Types of Narratives taken from the Invectives)

النوع الأول: مقبول أقره الإسلام وشهد بصدقه ويعد من الأخبار الصحيحة. مثل تسميتهم لصاحب موسى عليه السلام أنه الخضر، وهو ما أقره الرسول محمد (ﷺ).

النوع الثاني: مرفوض وهو ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل.

النوع الثالث: مسكوت عنه وهو الذي يقبل الاحتمالين، لم يقره الإسلام ولم ينكره، وهنا يجب التوقف عنده والتأكد منه، أي أنه موضع شك مع أنه مقبول، والسبب في ذلك أن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، لذا قال الرسول محمد (ﷺ): "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ)).

موقف العلماء المسلمين من الإسرائيليات

(The Attitude of Muslim Scholars towares Israeli Narrative)

اختلفت موافق العلماء المسلمون لاسيما المفسرون من الإسرائيليات على ثلاثة اتجاهات:

1. منهم من أكثر بالاعتماد على الأخبار الواردة عن أهل الكتاب ولم يتحفظ في نقلها ولكنه ذكر أسانيدها كالطبري.
2. منهم من أكثر بالاعتماد على الأخبار الواردة عن أهل الكتاب ولم يتحفظ في نقلها دون ذكر أسانيدها ، فكان كحاطب ليل، كالبغوي في تفسيره الذي نقل الصحيح والضعيف والموضوع دون تحفظ.
3. منهم من ذكر كثيراً من الأخبار الواردة عن أهل الكتاب إلا أنه تعقبها وحاول أن يمحصها فرفض بعضها بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.
4. منهم من كان حذراً جداً من الأخبار الواردة عن أهل الكتاب، وهؤلاء بالغوا في ردها ولم يذكروا منها شيئاً لاسيما في تفاسيرهم للقرآن الكريم كمحمد رشيد رضا.

أسباب قبول المسلمين بدخول الاسرائيليات في كتاباتهم

(Reasons of Muslims' acceptance for Israeli narrative invasion)

يبدو أن قلة مصادر التأريخ العربي القديم الذي سبق الإسلام هو الذي دفع العرب المسلمون إلى الاعتماد على المصادر اليهودية لأخذ المعلومات عن تلك الحقبة، لاسيما وأن اليهود كانوا أوثق صلة بالعرب من غيرهم، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافة العرب، ثم استغل اليهود هذا التوجه لدس كل ما هو

غريب وغير مقبول في التأريخ العربي قبل الإسلام وخلاله، فضلاً عن أن القرآن الكريم ضرب العبر والأمثال بالأمم والأحداث التي وردت في التوراة والانجيل، كقصة آدم عليه السلام ونزوله إلى الارض، وقصة طوفان نوح، وقصة موسى عليه السلام مع قومه اليهود، وقصة عيسى عليه السلام وأمه مريم، إلا أنها في وردت في القرآن الكريم بشكلٍ موجزٍ بهدف العظة والعبرة من قصصهم تلك الأمم، ولا نجد فيه تفاصيل عن تلك الأحداث كالتي موجودة في التوراة أو الإنجيل، لذا لجأ المفسرون والمؤرخون المسلمون إلى اكمال النقص في معلوماتهم مما ورد في الديانات التوحيدية الأخرى، لاسيما اليهودية، لأنهم أصحاب ديانة سماوية توحيدية سابقة.

مع أن الله تبارك وتعالى نبه المسلمين في القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب يحرفون كتبهم بقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [2]، وبين الرسول الأكرم ﷺ للمسلمين موقفه من أهل الكتاب بقوله: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا))، وقد تساهل المسلمون في الأخذ عن أهل الكتاب رغم تحذير القرآن الكريم والنبي الأكرم، وهكذا دخلت الاسرائيليات في كتب التفسير

(1) سورة النساء، آية: 46.

(2) سورة البقرة، آية: 79.

وكتابات المؤرخون العرب المسلمون فيما بعد، وتجدر الإشارة إلى أن محور مصادر الاسرائيليات هم أربعة أشخاص: عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

ويبدو أن الكثير من الإسرائيليات قد دخلت في كتابات المسلمين عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا، وقد نقلوها بحسن نية، مع أنها كان لها الأثر السيئ في الفكر الإسلامي، إذ أن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وغيرهم من الكتابيين الذين دخلوا الإسلام لم يكن غرضهم من الاستعانة بثقافتهم الدينية التي استقوها من التوراة أو الإنجيل هو الدس والاختلاق والإفساد في الدين الإسلامي، وإنما استعانوا بها لسد الثغرات في القصص التي وردت في القرآن الكريم، ولسد ثغرات التأريخ القديم الذي لم يكن العرب على اطلاع به ولا معلومات لديهم عنه.

ومع أن هؤلاء الكتابيين الأربعة الذين دخلوا الإسلام أوردوا الإسرائيليات، إلا أننا يجب أن ننتبه إلى أنهم لم ينسبوا ما رووه من أخبار بني إسرائيل إلى رسول ﷺ، بل أنهم كانوا يصرحون بوضوح إلى أن هذه الروايات هي من الإسرائيليات، ويشيرون إلى أنهم لا يصدقونها، وكان موقفهم من هذه الروايات هو الأخذ بما جاء على وفق شرعنا صدقوه، وما خالفه كذبوه، وأبدوا موقفهم الرافض للروايات التي تخالف الشريعة الإسلامية، كما أن الوضاعون استغلوا شهرتهم فنسبوا الكثير من الروايات التأريخية غير

الصحيحة إليهم، أي أن ليس كل ما ينسب إليهم صحيحاً، ثم انتقلت هذه الكتابات الموضوعة إلى كتب بعض المفسرين والمؤرخين والأدباء العرب المسلمين فيما بعد.

ونجد أن العلماء المسلمين يجمعون على صحة المنقول عن عبد الله بن سلام، إلا أنهم يختلفون في الحكم على الثلاثة الأخيرة، لاسيما كعب الأحبار ووهب بن منبه والثقة بهم ما بين مجرح وموثق.

مراحل تسرب الإسرائيليات إلى التأريخ الإسلامي

(Stages of the invasion of Israeli Narrative to the Islamic history)

المرحلة الأولى: مرحلة الرواية: في هذه المرحلة توجه الصحابة إلى إكمال نقص معرفتهم بتفاصيل بعض القصص الواردة في القرآن، لاسيما التي لم يفصل فيها الرسول محمد ﷺ ولم يسأل عنها في حياته، مستندين كما ذكرنا على قوله ﷺ: "وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج" و"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"، فكانوا يلجؤون إلى جيرانهم من أهل الكتاب لاسيما اليهود في التعرف على التفاصيل التي لا تتعلق بحكم أو تشريع، وهم يسعون في ذلك إلى إشباع فضولهم وإلى معرفة المزيد مما استعصى عليهم معرفته في القرآن الكريم، وقد تركز ذلك في فترة الصحابة والتابعين بعد أن توسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية ودخل الكثير من أهل الكتاب في الإسلام، وهؤلاء الكتابيين كان لديهم إمكانية إشباع

فضول المسلمين من خلال التفاصيل الموجودة في كتب اليهود والنصارى، ويبدو أن الصحابة والتابعين كانوا على حذر من روايات الكتابيين، ويأخذون منها بتقيد وتحديد دون إسهاب، إلا أن الأمر تغير بعدهم إذ لم يفرق فيه أصحابه بين الغث والسمين، وزادوا على الإسرائيليات برواياتهم للخرافات والأساطير التي لا سند لها.

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين: في هذه المرحلة كان الكتاب العرب المسلمون أكثر انضباطاً في أخذ الروايات عن المصادر غير الإسلامية، بسبب التزامهم بالسند والتشدد في قبول الرواة، إلا أن الملاحظ أن الأسانيد شذبت نوعاً ما الإسرائيليات من الحديث النبوي الشريف، إلا أنها لم تستطع أن تخلص التفاسير القرآنية من هذه الإسرائيليات.

خطورة الإسرائيليات (Danger of the Israeli Narrative):

أثرت الاسرائيليات تأثيراً سيئاً على تفاسير القرآن الكريم، إذ رافقها دخول الكثير من الأباطيل والأساطير التي نسبت إلى رواة الاسرائيليات لاسيما كعب الاحبار ووهب به منيه وغيرهما، وهذا ما أدى إلى النظر بعين الشك والريبة لرواتها، وهذا أثر على مصداقية هؤلاء الرواة، واستغل وضاعوا الحديث وضعفاء الإيمان هذه الفرصة فنسبوا الكثير من الإسرائيليات إلى النبي محمد ﷺ، لذا نجد أن المستشرقون والمبشرون يركزون على هذه الاسرائيليات وغيرها مما ألصق بالإسلام وتأريخه من موضوعات ليسهل علهم نعت الدين الإسلامي بدين الخرافات التي لا يقبلها المنطق والعقل، إلا أن

الأخطر من هذا كله هو محاولة المستشرقين اليهود الغاء نبوة محمد ﷺ باعتباره قد أخذ عن علماء اليهود وأحبارهم وأسفارهم الدين الإسلامي بالكامل، أي أن المسلمين يدينون لليهودية ولبنى اسرائيل ايضاح وتفسير آيات القرآن الكريم.

ولابد لنا هنا من أن نشير إلى أن القرآن الكريم ليس بكتاب قصص ولا هو كتاب تأريخ وإنما يهدف من وراء ذكر قصص الأمم الغابرة ضرب الأمثال لنا والعضة والهداية، وهذا ما يشير إليه بقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب﴾، أي أن القرآن الكريم يحدد لنا هدفاً من القصص الواردة في سوره وآياته، في حين لا نجد في التوراة هدف محدد من القصص التي توردها، وما فيها غير اسهاب في تفاصيل لا أساس لها من الصحة في كثير مما تورده، أي أن ما نجده في التوراة لا يعالج امراً أو قضية على عكس القرآن الكريم.

أمثلة على الإسرائيليات (Examples of Israeli Narrative):

- <u>تقسيم خلق الكون على ستة أيام</u>: فالرواية التي ترد في التوراة الاصحاح الأول من سفر التكوين تتكرر عند الطبري الذي أورد عن ابن عباس: "أن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الاربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، قال: فخلق الأرض في يومي الأحد والاثنين، وخلق يوم الثلاثاء، فذلك قول الناس: هو يوم

ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والهوام والسبع يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة".

- **خلق حواء من أحد أضلاع آدم:** إذ أن ما ورد عند الطبري من قصة خلق حواء من أحد أضلاع آدم مأخوذة عن التوراة في سفر التكوين الإصحاح الثاني الآيات 21-23.
- **قصة آدم وحواء منذ خلقهما وحتى اخراجهما من الجنة**: أورد الطبري الكثير من الروايات حول آدم وحواء وكلها مأخوذة من التوراة، وخير مثال على ذلك ما أورده الطبري بقوله: "قال: يا رب، أطعمتني حواء! قال لحواء لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، أما أنت يا حواء فكما دميت الشجرة تدمين كل شهر، وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك"، وهذا ما تورده التوراة في سفر التكوين الإصحاح الثالث الآيات 6-16.
- **قصص الأنبياء**: إذ نجد في قصص الأنبياء تفاصيل لأحداث مرت بالأنبياء لم يذكرها لا القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ، بل ذكرتها المصادر الإسرائيلية بتفاصيل لا أساس لصحة الكثير منها، ولا مجال لمعرفة صحتها من عدمه، إلا أن الكتاب العرب المسلمون لم يجدوا ما يسد فجوة قصص الأنبياء غير المصادر العبرية، ومن هذه القصص قصة نوح عليه السلام، فمثلاً تذكر التوراة في سفر التكوين

الإصحاح السابع الآية 13 أن أبناء نوح عليه السلام هم: سام وحام ويافث، وهي نفس التسميات التي ترد عند الطبري وغيره من الكتاب العرب المسلمون الذين لحقوا به وكرروا ما ذكره الطبري بهذا الشأن، ففي قصة إبراهيم عليه السلام يرد في التوراة في سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر الآيات 11-13 ما نصه: "وحدث لما قرب (إبراهيم) أن يدخل مصر إنه قال لسارة امرأته إني قد علمت أنك حسنة المظهر، فيكون إذا رآك المصريون إنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك"، وهذه الرواية يكررها الطبري عندما يورد قصة هجره إبراهيم عليه السلام مع زوجه سارة إلى مصر، وقول إبراهيم عليه السلام عن سارة انها أخته، في حين أن الإسلام ينكر مثل هذه الروايات التي لا أصل لها أساساً، ويذهب الطبري إلى ذكر رواية التوراة في سفر التكوين في إن إبراهيم عليه السلام كان ينوي ذبح اسحق عليه السلام وليس اسماعيل تنفيذاً للرؤيا التي رآها إبراهيم عليه السلام.

سادساً: الجغرافيا التأريخية (Historical Geography)

أهمية دراسة الجغرافيا التأريخية

(The Importance of Studying The Historical Geography)

1. تمكين الطالب من الجانب التاريخي كأساس لدراسة الجغرافية التاريخية طبيعية كانت أم بشرية.

2. تعـرف الطالـب بمجـال الجغرافيـا التأريخيـة ومنهجهـا مـن خـلال العلاقة بين الجغرافيا والتأريخ.
3. تعرف الطالب بعصور ما قبل التأريخ ووسائل دراستها وطرق البحث فيها.
4. يحـدد الطالـب تـأثير عصـر البلايستوسـين وتغيراتـه المناخيـة علـى مظاهر السطح.
5. تعميق وعي الطالب بالجغرافية التاريخية من خلال حضارات ما قبل التاريخ بها.
6. يتعرف الطالب على مصادر دراسة الجغرافية التاريخية.
7. يـربط الطالـب بـين العناصـر الطبيعيـة والمنجـزات الحضـارية الـتي خلفتها الجماعات القديمة.
8. يربط الطالب بين الحضارات في فجر التاريخ.
9. يحلل الطالب خصائص الحضارات المصرية في فجر التاريخ.
10. يحلل الطالب التغيرات المناخية في العصور التاريخية.
11. يقدر الطالب قيمة حضارات ما قبل التاريخ.

مناهج الجغرافيا التأريخية (Curriculum The Historical Geography)

1 - **المنهج التطوري**: وهو منهج قديم يحاول أن يقسم الزمن إلى عصور تأريخية ويعالج الظواهر الجغرافية في كل عصر على حدة، ومن

عيوب هذا المنهج هو عجزه عن تفسير كل عناصر البيئة ولا تخلو أحياناً من التكرار.

2 - **المنهج الأصولي:** وهو يتناول تطور ظاهرة معينة (طبيعية أو بشرية) خلال مرحلة زمنية محددة أو مراحل زمنية متعاقبة، وهذا المنهج يتتبع التغيرات التي حصلت على العناصر الجغرافية على مر الزمن.

3 - **المنهج الإقليمي:** يتناول دراسة الظواهر الجغرافية المختلفة في منطقة أو إقليم معين خلال مرحلة معينة أو مراحل زمنية متتالية، وهو أيضاً تهتم بدراسة ظاهرة جغرافية أو أكثر في منطقة معينة مع الاهتمام بالبعد الزمني، أي دراسة جغرافية المنطقة خلال فترات متعاقبة.

4 - **المنهج السلوكي:** وهو من المناهج الحديثة وهو يحاول أن يفسر الظواهر الجغرافية من خلال معرفة سلوك الأفراد أو الجماعات الصغيرة، إلا أن هذا المنهج يعتبر صعب التطبيق لعدم توافر البيانات الكافية لأن أصحاب الحدث رحلوا ولم يتركوا بيانات تساعد على هكذا نوع من الدراسة.

جغرافيا ما قبل التأريخ (Geography of The Pre-History):

تبدأ عصور ما قبل التأريخ مع بدأ الخليقة وتنتهي مع اكتشاف الكتابة في بلاد ما بين النهرين، أي أن اكتشاف الكتابة هي الحد الفاصل ما بين العصور التي سبقت التأريخ والعصور التأريخية، وتهتم جغرافيا ما قبل التأريخ بدراسة تطور البيئة الجغرافية لاسيما التغييرات في المناخ وشكل سطح الأرض ومنها التغيير الحاصل في توزيع اليابسة والماء من جراء هذه التغييرات، وهي تدرس أيضاً تطور الحياة البيولوجية على الأرض لاسيما الإنسان وتطوره البيولوجي عبر الحقب الزمنية المتعاقبة، ثم تدرس أثر الإنسان العاقل وانتشاره في الأرض، إذ تميزت كل مجموعة بشرية بصفات ميزتها عن المجاميع البشرية الأخرى التي قطنت في مناطق مختلفة على الأرض، وجغرافيا ما قبل التأريخ تدرس أيضاً إنجازات الإنسان الحضارية وتطورها خلال الحقب التأريخية المتعاقبة بدأً من العصور الحجرية حتى اكتشافه للكتابة.

وتعد نقص الأدلة التأريخية المشكلة الرئيسة التي تواجه الدارس لجغرافيا ما قبل التأريخ، وهناك عدة طرق ووسائل يحاول من خلالها الباحث إعطاء تأريخ نسبي لهذه المدة الطويلة، ومن أهم هذه الطرق التي تساعد الباحث في دراسة جغرافيا ما قبل التأريخ:

1. **طريقة تحليل صفائح الطمي الجليدي:** وهي من أقدم الطرق، وتعتمد هذه الطريقة على دراسة طبقات الرواسب السميكة التي تكونت على شكل طمي في أواخر عصر البليستوسين بعد انحسار الجليد وارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية إذ ترك الرواسب التي كان يحملها، وعندما تنخفض حرارة الأرض يعود الجليد مرة أخرى ليغطي هذه الرواسب ثم ترتفع حرارة الأرض وينحسر الجليد ويترك طبقة أخرى من الرواسب وهكذا تتكون صفائح الطمي، ويلاحظ أن الصفائح التي تتكون خلال السنة الواحدة تكون خلال موسم الصيف سميكة بسبب ارتفاع درجة الحرارة، في حين تكون هذه الصفائح أقل سمكاً في فصل الشتاء بسبب انخفاض درجة الحرارة، ومن خلال حساب هذه الرواسب وعدد الصفائح في كل سنتمتر وضربها في سمك الرواسب نحصل على رقم تقديري لعمر الطبقة، وهذه الطريقة تنفع في حساب الفترات القريبة التي أعقبت العصر الجليدي والتي لا تتعدى 16000-15000 ق.م.

2. **طريقة التحليل الراديومي:** وتختص هذه الطريقة بدراسة أعماق البحار، وتعطي هذه الطريقة تقديرات لمدة زمنية تصل إلى نحو مليون سنة، وهي تعتمد على تحلل عنصر الراديوم إلى رصاص،

ومن خلال تحديد سمك الراديوم والمدة التي تحلل فيها إلى رصاص يمكن تحليل المدة الزمنية.

3. **طريقة حلقات جذع الأشجار**: وهذه الطريقة تعتمد على دراسة عدد حلقات جذع الشجرة وسمك هذه الحلقات، إذ أن الحلقة الواحدة تتكون خلال سنة واحدة وسمكها يدل على الظروف البيئية التي سادت خلال السنة، فالحلقة السميكة تشير إلى ظروف بيئية رطبة في حين تشير الحلقة الرقيقة إلى ظروف بيئية جافة، وهكذا.

4. **طريقة النظائر أو العناصر المشعة للـ(كربون- 14/ C-14)**: وهي من أهم وأحدث الطرق المعتمدة في التعرف على عمر المواد العضوية، إذ أن هذا العنصر يتناقص بنسبة ثابتة، فبعد موت الكائن الحي يتناقص إلى النصف كل (5600 سنة أو 6750 سنة)، ثم وبعد مرور نصف هذا الزمن يفقد نصف الوزن المتبقي وهكذا إلى أن يتحول على نتروجين، وقد صنع لهذا الغرض (جهاز كايكر) لمعرفة عمر العضو الميت، ونسبة الزيادة والنقصان التي يعطيها تتراوح بين (200-300سنة)، وتنفع هذه الطريقة في التعرف على عمر المواد العضوية لفترة لا تتجاوز (60000-70000عام)، أما الفترات التي تتجاوز هذا التاريخ فهناك طرق علمية أكثر تعقيداً مثل طريقة احتساب نصف عمر العنصر المشع للبوتاسيوم.

5. **طريقة الطبقات الأثرية (الأركيولوجية):** وتعتمد هذه الطريقة على دراسة التلال الأثرية، ويقصد بالتلال الآثارية تلك التلال الصناعية التي تحوي في باطنها بقايا مدن أو قرى أو معابد قديمة طمرت تحت التراب فكونت ما يعرف بالتلال الآثارية، وتنشأ التلال الآثارية نتيجة رحيل السكان عن مساكنهم لأسباب شتى منها تحول مجرى النهر أو تغير مسار الطرق التجارية أو تدميرها بسبب الحروب أو العوامل الطبيعية كالحرائق والزلازل وغيرها، فتتراكم الأتربة على المساكن المهجورة وتكون تلال أثرية، وتتكون هذه التلال أيضاً نتيجة قيام سكان منطقة ما بهدم جدران منازلهم بعد ان انعدمت الفائدة من ترميم تلك الجدران فيجعلونها قاعدة لبناء جديد، وتسمى هذه القاعدة طبقة، وهكذا تتراكم الطبقات كلما تم تجديد السكن، وتكون فيما بعد تلال أثرية تحوي في داخلها عدة طبقات سكنية قديمة تسمى (الطبقة الآثارية)، إلى أن نصل إلى قعر التل حيث توجد بقايا أول بيوت شيدت على الأرض البكر، وتجدر الإشارة إلى أن مواد البناء قد تختلف من طبقة آثارية إلى أخرى، أما (الدور الحضاري) و(الدور التأريخي) يقصد به حقبة زمنية حضارية تتميز بآثارها الخاصة وطرازها المعمارية وأدواته وفخاره، وقد يستغرق عدة

قـرون، ويتـألف مـن عـدة طبقـات أثريـة، وتتميـز أيضـا بتبـدلات حضـارية بـارزة كالاختراعـات الجديـدة، وأحيانـا يكـون مصحـوب بتبدلات سياسية أو اقتصـادية أو اجتماعيـة، ونشير إلى اختلاف في تحديـد أزمـان الطبقـات الآثاريـة تبعـا لمـادة البنـاء المسـتخدمة في الطبقـة، فـالحجر والآجـر (الطـابوق) يعمـر أكثـر لـذا تقـدر فترتـه بنحو مئة سـنة تقريبـاً، في حين أن أبنيـة اللـبن تكـون أقصـر عمـراً وتقدر طبقتها بجيل واحد (25-30 سنة).

6. **طريقة المقارنة أو التأريخ المتعاصر**: وتعتمد هذه الطريقة على مقارنة الآثار في مناطق مختلفة، إذ أن تشابه آثار منطقتين أو أكثر يشير إلى أن الحضارات المنتجة لهذه الآثار كانت متعاصرة.

علاقة الجغرافيا التأريخية بالعلوم الأخرى

(Historical Geography Relationship to Other Sciences)

تعتمـد الجغرافيـا التأريخيـة في دراسـتها علـى علـوم سـاندة ومسـاعدة، ومـن هذه العلوم علم الجغرافيـا الطبيعيـة بفروعـه المتمثلـة بعلـم شـكل سـطح الأرض (الجيمورفولوجيا) وعلم الجغرافيا المناخية والجغرافيا الحيوية، فضلاً عن علم الجغرافيا البشرية بكـل فروعـه، كـذلك يعتمـد علـى علـم المنـاخ القـديم الـذي يبحث في التحولات المناخية خلال العصور الجيولوجية المتعاقبة لاسيما عصر

البليستوسين وآثار هذه التحولات على الجوانب الفيزيوغرافية والنباتية والحيوانية، كما تعتمد الجغرافيا التأريخية على علم التأريخ وفلسفة التأريخ، وهذه الصلة تكلمنا عنها في أثناء تعريفنا للجغرافيا التأريخية.

وللجغرافيا التأريخية صلة وثيقة بعلم الآثار من خلال دراسة المخلفات الآثارية التي خلفها الإنسان والتي تمد الدارس للجغرافيا التأريخية بالكثير من الأدلة الآثارية، أما علم الإنسان (الأنثربولوجيا) بفرعيه الطبيعي والحضاري فتفيد الباحث في الجغرافيا التأريخية في التعرف على الحضارات المختلفة التي ظهرت على الأرض وسير هذه الحضارات وتواليها، ويعد علم اللغة من العلوم الساندة لعلم الجغرافيا التأريخية، إذ أن تغير وتطور اللغة يشير إلى حركة الإنسان عبر الحقب التأريخية المختلفة.

الحقب الجيولوجية (Geological Eras):

ينقسم الزمن الجيولوجي إلى أربعة دهور (Eons) والدهر ينقسم إلى حقب (Era) والحقبة تضم عصوراً (Periods أو Epochs)، والحين جزء طويل يضم أحقاباً من الدهر، ويمكن تقسيم الزمن الجيولوجي إلى عصور متميزة بأحداثها وأحيائها كعصور النقط الهلامية والرخويات العارية الأصداف والتروبيليتات (رأسقدميات) والأسماك والبرمائيات والزواحف والثدييات ثم عصر ظهور الإنسان، وهذا التقسيم يستند إلى البقايا العضوية المتحجرة.

والدهر مداه مئات الملايين من السنين، ويوجد ثلاثة دهور رئيسة وهي: دهر اللاحياة وهو أقدم الدهور ومداه 1700 مليون سنة ولا يوجد به أي آثار للحياة، ودهر الحياة الخفية ومداه 600 مليون سنة وفيه شواهد أشكال الحياة الأولية ولم تخلف أي آثار لها، والدهر الأخير مداه 579 مليون سنة وفيه حفائر إحيائية في الصخور والرسوبيات.

والحقب أطول المراحل الزمنية بكل دهر وتقاس كل حقبة بعشرات الملايين من السنين، أما العصور فنجد أن العصر هو عبارة عن مرحلة من مراحل كل حقبة، ويقاس العصر ببضع عشرات ملايين السنين، ويميز كل عصر رتب وفصائل حيوانية ونباتية تنقرض أغلبها أو تقل أهميتها مع نهاية العصر.

والحقب الجيولوجية أربعة وهي من الأقدم للأحدث:

أولاً/ حقبة ما قبل الباليوزي (ما قبل الكمبري): منذ 3200-600 مليون سنة، ويعتبر عصر الحياة المبكرة الأولي البدائية حيث ظهر ت به الطحالب والفطريات البدائية والرخويات بالبحر.

ثانياً/ حقبة الباليوزي Paleozoic era (حقبة الحياة القديمة) أو (الزمن الأول): ظهرت منذ 600—280 مليون سنة، وتتميز هذه الحقبة بطولها وبصلابة صخورها وتعدد أحيائها واختلاف بيئاتها.

ثالثاً/ حقبة الميزوزينيي Mesozoic era (الميزوسي)(حقبة الحياة الوسطى): من (230-65 مليون سنة) أصبحت النباتات أكثر تكيفاً للبيئات الجافة والتغيرات الفصلية، وظهرت في هذه الحقبة عصر الزواحف الكبرى (منذ 230-65 مليون سنة)، وظهر فيه عصر الإنسان (منذ 65مليون سنة وحتى الآن).

رابعاً/ حقبة السينوزوي Cenozoic (حقبة الحياة الحديثة): منذ 65 مليون سنة وحتى الآن، وتميز مناخ هذه الحقبة بانخفاض مستمر في درجات الحرارة حتى وصل إلى أقصى انخفاض له في آخر عصوره (عصر البليستوسين)، وتطورت خلال هذا العصر الثدييات (اللبائن)، وتميزت الثدييات بالذكاء بفضل وجود الدماغ، وآخر عصور هذه الحقبة هو عصر البليستوسين Pleistocene Epoch: منذ 1.8 مليون إلى 15000ق.م، وقد تطور الإنسان خلال هذا العصر بيولوجياً بحيث أصبح قادراً على إنتاج الحضارة، وفيه حدث العصر الجليدي الأخير حيث انقرضت الثدييات العظمية (الفقارية) عندما غطى الجليد معظم الكرة الأرضية.

ظهور الإنسان (Appearance of Human):

يعد الـ(أسترالوبيثكس) أقدم جنس للإنسان البدائي، وكان جسمه قصير ونحيل الوزن ومخه أصغر وفكه كبير وجبهته مسحوبة، وكانت أسنانه وسقف حلقه يشبهان أسنان وسقف حلق القرد، ويطلق العلماء على هذا الإنسان شبيه البشر، وعرف هذا الإنسان النار وكان يسير منتصباً وكان قادراً على صنع أدواته البدائية، وقد عثر على عظامه قرب بحيرة تشاد وعبيدية بفلسطين، ويرجع عمره إلى 2.5 مليون سنة، وأقدم حفائره تم العثور عليه في منطقة كوبي بكينيا، ويرجع عمرها إلى 2.6 مليون سنة وعثر على حفائره في وادي أومو بإثيوبيا ويرجع عمرها إلى 3 مليون سنة، وتطور الإنسان في عصر البليستوسين بأشكال مختلفة، وهي كما يأتي:

1. **الإنسان المنتصب القامة**: وهذا النوع يشارك البشر في الجنس لكنه غير عاقل ومن هذا النوع (إنسان جاوة) الذي ظهر قبل نحو نصف مليون وجاء بعده (إنسان الصين) بنفس الشكل، وهذا الإنسان كانت عظام فخذه شبيهة بعظام فخذ الإنسان الحالي وحجم مخه أكبر من حجم مخ الإنسان الحالي وشكل جمجمته يختلف عن جمجمة الإنسان الحالي إذ كانت طويلة من الأعلى ومستوية والفك السفلي بدون ذقن وأسنانه تجمع بين صفات أسنان الإنسان والقرد.

2. **إنسان النياندرتال**: الذي كان موجود قبل نحو 100.000سنة، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى وادي النياندرتال في ألمانيا الذي عثر فيه على بقايا هيكل هذا الإنسان لأول مرة، وتشير هذه المكتشفات إلى إنسان النياندرتال كان صيادا ماهراً، وكان يلبس جلود الحيوانات، ويصنع أدواته من الحجارة والعظام، وتوصل إلى اكتشاف النار، وهو اكتشاف مهم جداً، إذ استخدم النار في شوي اللحوم وفي الإنارة والتدفئة وفي حماية نفسه من الحيوانات المفترسة.

3. **الإنسان الحديث (الكرومانيوم)**: وظهر قبل نحو 40000 سنة، وهو أرقى من إنسان النياندرتال، إذ تميز عليه بطول قامته وكبر حجم مخه وقدرته على تحريك الأصابع لاسيما الإبهام، وهذا ما جعله يبدع أكثر في سلم الرقي الإنساني، فصنع أدوات أكثر دقه، واستخدم المناجل المصنوعة من حجر الصوان، كما استخدم الرحى في طحن الحبوب، وتعلم تدجين الحيوانات، ثم اكتشف الزراعة التي غيرت مجرى التاريخ، فاستقر وبنا القرى التي تطور بعضها فيما بعد إلى مدن ثم دويلات فدول.

فلسة التاريخ



قائمة المصادر والمراجع العلمية

قائمة المصادر والمراجع العلمية

القرآن الكريم.

1. التوراة.
2. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
3. سهيل زكار، التأريخ عند العرب والبحث عن مدرسة عربية لتحليل التأريخ.
4. عائشة عبد الرحمن، الإسرائيليات في الغزو الفكري.
5. عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب.
6. عبد العزيز الدوري، فلسفة التاريخ.
7. عفيف عبد الفتاح طبارة، اليهود في القرآن الكريم.
8. قيس حاتم هاني الجنابي، تأريخ الشرق الأدنى القديم.
9. قيس حاتم هاني الجنابي، منهجية البحث التأريخي (الأسس والمفاهيم والأساليب العلمية)
10. محمد بن جرير الطبري، تأريخ الرسل والملوك.
11. محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.
12. محمد رشيد العقيلي، اليهود في شبه الجزيرة العربية.
13. هاشم يحيى الملاح، دراسات في فلسفة التاريخ.
14. إبراهيم الدعيلج، مناهج وطرق البحث.

15. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه.

16. تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار.

17. Berelson, Bernard and Steiner, Gray, A., Human Behaviour; An Inventorn of Scientific Findins, Harcourt.

18. Webster's, New Twentieth Century Dictionary of English.

سيرة شخصية



1. الاسم: الأستاذ المساعد الدكتور قيس حاتم هاني جوير الجنابي.
2. التحصيل العلمي: دكتوراه تأريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم.
3. يعمل حالياً في التدريس في قسم التأريخ بكلية التربية الأساسية جامعة بابل.
4. حاضر في كلية الدراسات التأريخية بجامعة البصرة، وفي كلية الآداب بجامعة بابل.
5. المواد التي درستها: تاريخ العراق القديم، وتاريخ العرب القديم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، فلسفة التأريخ، الجغرافية التأريخية لعصور ما قبل التأريخ.
6. حصل على العديد من الشهادات التقديرية تثميناً لعطاءه العلمي في مجالات التدريس والبحث العلمي من جامعات بابل والبصرة وواسط وتكريت والجامعة الإسلامية العالمية.
7. لديه مؤلفات وبحوث علمية عديدة منشورة في مجلات علمية محكمة في مجالات تأريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم.
8. أشرف على العديد من الرسائل الجامعية.
9. ناقش العديد من الرسائل الجامعية.

10. عضو في العديد من الفعاليات واللجان العلمية.

11. شارك في العديد من المؤتمرات العلمية العالمية.

12. مدير تحرير وعضو هيئة تحرير للعديد من المجلات العلمية المحكمة.

فلسفة التاريخ



دار المنهجية

الدار المنهجية للنشر والتوزيع

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 4611169 6 962+

E-mail: info@Almanhajiah.com

ص. ب: 922762 عمان 11192 الأردن

9789957593599